الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي
المرجع: . .....

تداولية المدح في ميمية الفرزدق

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: لسانيات عربية

إعداد الطالبتين:
* صابرينة عبد مزيان
* نـــــدى وجـــعي

إشرافالأستاذ:
سطوف عزوز

السنة الجامعية: 2021/2020

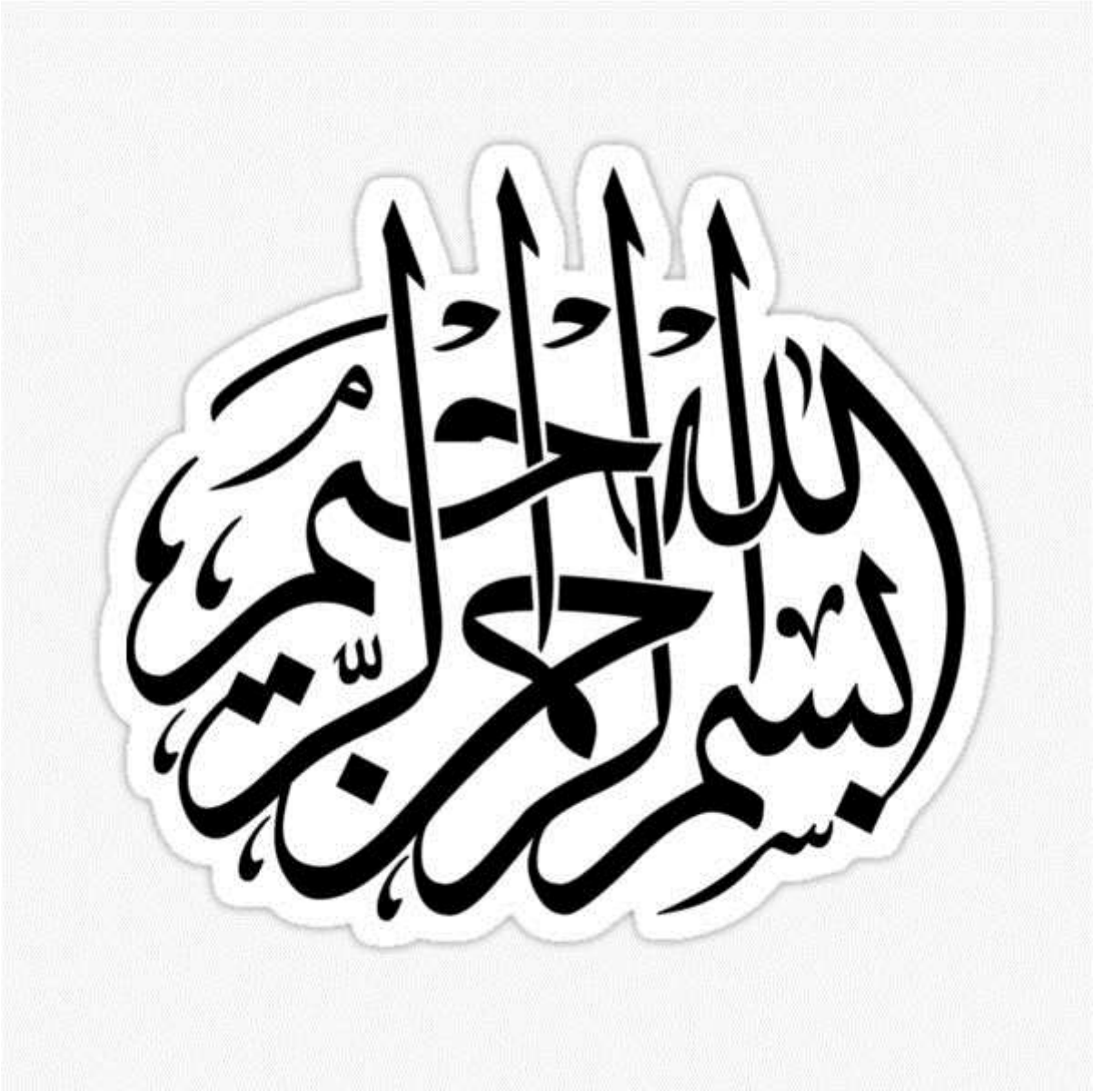
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله كثيرًا يليق بمقامه وسلطانه وصلّ اللهم على سيدنا محمد خاتم الأنبياء

والمرسلين.

نشكر الله سبحانه وتعالى على فضله وتوفيقه والقائل في محكم تنزيله:

"لإن شكرتم لأزيدنكم" الآية: 07 سورة إبراهيم.

نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل الذين وجهونا بآرائهم وأفادونا بأفكارهم ونخص بالذكرالسيد الفاضل

أستاذ المشرف والموجه: **"عزوز سطوف"** الذي تكرم مشكورًا بالإشراف على هذا البحث وعلى ما قدمه لنا من توجيهات قيمة وملاحظات سديدة رغم مشاغله الكثيرة

فكان نعم المعلم والموجه عبر كامل مراحل هذا البحث

كما نتوجه بالشكر الجزيل إلى من وقف على المنابر وأعطى من حصيلة فكرة لينير

دربنا.

إلى الأساتذة الكرام في قسم اللغة والأدب العربي .

إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد لكم منا جزيل الشكر والعرفان.

دون أن أنسى لجنة المناقشة التي خصصت من وقتها الثمين لمراجعة هذه المذكرة

وذلك لإستدراك ما فيها من نقائص، فلهم أسمى عبارات الشكر والتقدير.

صابرينة وندى

مقدمة

مقدمة:

تعد التداولية درسا غزيرا وجديدا في حقل الدراسات اللسانية، فهي كبحث في قمة اِزدهاره، لم يتحدد في الحقيقة، كما أنّه لا يمتلك حدودًا واضحة تقع كأكثر الدروس حيوية، إذ أنّها تختص بدراسة اِستعمال اللغة في سياق معين، وتهتم أيضا بالمعنى، وببعض الأشكال اللسانية التي لا يتحدد معناها إلّا من خلال اِستعمالها، بناءً على هذا اِخترنا موضوع: تداولية المدح في ميمية الفرزدق.

وتكمن أهميّة التداولية في أنّها مشروع شاسع في اللسانيات النصيّة فهي تهتم بالخطاب والإقناع والمناحي النصيّة فيه، وتهتم كذلك بدراسة التواصل عموما إنطلاقًا من دراسة أقوال المتكلمين، وظروف إنتاجهم الكلام وبيان مقاصدهم.

وكان مرد إختيارنا لهذا الموضوع إلى رغبتنا في إستقراء وتحليل ما له علاقة بهذا المجال الخصب للوصول إلى الهدف المرجو وهو إزالة الغموض عنه والتعمق أكثر فيه، بالإضافة إلى إتصاف التداولية بالبعد الإجرائي التطبيقي والتأثر والتفاعل الحسي بين المتكلم والسامع لتحقيق الهدف المرجو.

ومن هنا يمكننا أن نطرح الإشكالية الآتية:

- كيف وظف الفرزدق المدح تداوليا في ميميته؟

وقد وضعنا خطة تمكننا من التحكم في موضوع البحث وساعد على تحقيق الأهداف المرجوة منه، واِقتضت طبيعة البحث وحجم مادته العلمية أن يكون مقسما إلى:

فصل نظري وفصل تطبيقي ونتائج.

أتى الفصل الأوّل بعنوان: " التداولية والمدح ": وهو دراسة تداولية جاءت في مبحثين، المبحث الأول: عرضنا فيه التداولية والمدح.

أمّا المبحث الثاني: فقد اِختص بعرض حياة وشخصية زين العابدين مع التفصيل لأهم عناصر المبحثين.

أمّا الفصل الثاني الموسوم: " تداولية المدح في قصيدة هذا الذي تعرف البطحاء وطأته " للفرزدق، وهي دراسة تطبيقية جاءت هي الأخرى في مبحثين بدأناها بتمهيد.

المبحث الأوّل: اِهتم بعرض المدح بالصفات الذاتية للممدوح من خلال اِستخراج بعض الصفات الأخلاقية الموجودة في القصيدة مع الشرح والتحليل.

أمّا المبحث الثاني: فقد خصصناه للحديث عن المدح بالنسب لزين العابدين وأنهينا البحث بخاتمة تضمنت النتائج المتوصل إليها.

فقد اِعتمدنا المنهج التداولي الذي يناسب هذه الدراسة والذي يمكننا من استقراء الحقائق ووصفها وتحليلها وتفسيريها.

وقد اِعتمد البحث على مصادر ومراجع من أهمها: كتاب " في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم " لخليفة بوجادي، وكتاب " سيدنا زين العابدين " لعبد الحليم محمود.

كما اِعتمدنا على مجموعة من المراجع الأجنبية والرسائل الجامعية .

وقد واجهتنا بعض الصّعوبات أثناء البحث من بينها ضيق الوقت، وصعوبة الإحاطة بجميع حيثيات البحث.

ولكن بفضل الله عز وجلّ ثمّ فضل الأستاذ المشرف " الدكتور عزوز سطوف" تجاوزنا الصّعوبات واِكتمل هذا البحث ليخرج إلى الوجود بهذه الحلّة، عسى أن ينير جانبًا ولو يسيرًا لطالب علم، ونسأل الله مزيدًا من فضله وفيضه، وأن يتقبل عملنا.

وفي الختام نتقدم بجزيل الشكر والإمتنان إلى الأستاذ المشرف، وكذا إلى لجنة المناقشة الموقرة.

ونرجو أن نكون قد وفّقنا بعض التوفيق فيما سعينا وما توفيقنا إلاّ بالله، وفي ختام القول أن الحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول
التداولية والمدح

المبحـــث الأوّل: الـتداوليـــة

المبحـــث الثاني: الـمـــــدح

المبحث الأول: التداولية

المطلب الأوّل: مفهوم التداولية

1-التعريف اللغوي للتداولية:

- في لسان العرب:

دَوَلَ: العقبة في المال والحرب سواء، وقيل: الدُوَلَةْ، بالضم، في المال، والدَوَلَةْ، بالفتح في الحرب، الفعل، وفي حديث أشراط الساعة: إذا كان المغنم دُوَلاً، جمع دُوَلَة، بالضم وهو ما يتداول من المال فيكون لقوم دون قوم، وقال الزجاج: الدولة اِسم الشيء الذي يتداول والدولة الفعل والاِنتقال من حال إلى حال، ... كأنه كي لا يكون الفيء دولة أي متداولا.[1]

ومن المفاهيم المعجمية أيضا ما جاء في أساس البلاغة "دالت له الدّولة،ودالت الأيام بكذا وأدال الله بين فلان عن عدوهم، جعل الكثرة لهم عليه، ومن الحجاج: أن الأرض ستدل من كما أدلنا منها(...) وإليه يداول الأيام بين الناس مرّة لهم ومرّة عليهم، والدّهر دُول وعقب ونوب".[2]

ومنه قوله تعالى: "وتلك الأيام نداولها بين الناس" [سورة آل عمران- الآية:140]، وقول العرب الأيام دولة فيقولون دالت دولته فكل هذا يعني المتبادل بين الناس والمستعمل.

وهو مصدر صناعي للفعل تداول يتداول تداولا والتداول هو التبادل ومنه العملة المتداولة وجاء في القرآن الكريم: "كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم" [سورة الحشر- الآية:17].

---

[1] محمد بن مكرم بن علي بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت- لبنان، ط1، 1863م، م5، ص327.

[2] أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، ت:عبد رحيم محمود، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 1987م، ص139.

-الزمخشري:

دَوَلَ: دالت له الدولة، ودالت الأيام بكذا، وأدال الله بين فلان من علوم جعل الكرة لهم عليه، وعن الحجاج: إن الأرض ستدال منا كما أدلنا منها، وفي مثل "يدال من البقاع كما يدال من الرجال" وأديل المؤمنون على المشركين يوم بدر، وأديل المشركون على المسلمون يوم أحد، واِستدلت من فلان لأدال منه، وستدل الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم، والدهر دول وعقب ونوب، وتداولو الشيء بينهم، والماشي يداول بين قدميه: يراوح بينهما، ونقول دواليك أي دالت لك الدولة كرة بعد كرة.[1]

وبناءً على ما تقدم من التعريفين اللغويين السابقي، يتضح أنها لا تخرج عن الجذر "دول" والتي تحمل معاني التنقل من حال والتبدل والتغير...

"وذلك حال اللغة متداولة من حال لدى المتكلم، إلى حال أخرى لدى السامع، ومتنقلة بين الناس، يتداولونها بينهم، ولذلك كان مصطلح(تداولية) أكثر ثبوتا بهذه الدلالة من المصطلحات الأخرى: الذرائعية، النفعية، السياقية".[2]

2- المفهوم الاصطلاحي للتداولية:

2-1- التداولية اصطلاحاً عند الغربيين:

عَرَفَ مصطلح التداولية مدلولات عديدة مند ظهوره لأول مرة، حيث يعود أصل إشتقاق هذا المصطلح إلى الكلمة الإغريقية " πQEacs" التي تعني: " الفعل، التنفيذ، الإنتهاء أو إتمام الفعل، طريقة التصرف والتأثير في الآخرين، نتيجة الفعل".[3]

---

[1]محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، أساس البلاغة، ت: محمد باسل عيون السود، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1998م، ج1، ص303.

[2]خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيتالحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط1، 2009م، ص148.

[3]Martine Bracops, Introduction à la pragmatique, Bruxelles, De Boeck, 2006, P1.

ويعود مصطلح "التداولية" بمعناه الحديث إلى الفيلسوف والسينميائي الأمريكي "تشارلز موريس" "Charles Morris " سنة 1938 حيث عرفها بأنها: " جزء من السينمائية يهتم بدراسة العلاقة بين العلامات ومستعمليها ".[1] وتمثل التداولية حسب رأيه إحدى نواح ثلاث يمكن معالجة اللغة من خلالها– سواء أكانت لغات طبيعية" Langues naturelles " أم لغات صورية "Formelles langues" وهي التراكيب"Syntaxe"، الدلالة "Sémantique" "، التداولية "pragmatique"، ومن هنا تكون اللغة بالمعنى السينميائي التام هي: "المجموع المتداخل بين شخصين للعلامات السيارة والتي يتحدد اِستعمالها من خلال قواعد نحوية ودلالية وتداولية ".[2]

أما الباحث اللساني "ليفينسون" S.C levinson يرى أنّ التركيب يهتم بدراسة الخصائص التأليفية بين الكلمات، والدلالة تهتم بالبحث في المعنى، أمّا التداولية فَتُعْنَ بدراسة اللغة في الإستعمال ويأتي هذا التعريف تمييزًا لها عن الدراسات البنيوية التي إهتمت بدراسة اللغة باِعتبارها نظاما مغلقًا معزولاً عن المؤثرات الخارجية، ولقد إقترح " ليفينسون" في كتابة " pragmatics" مجموعة من التعاريف حاول أن يحدد من خلالها مفهوم التداولية نذكر منها: [3]

- التداولية هي دراسة للعلاقات بين اللغة والسياق.
- التداولية هي دراسة لظواهر بنية الخطاب اللغوي من تضميناتواِقتضاءات أو ما يسمى بأفعال الكلام Les actes de paroles.
- التداولية هي دراسة كل مظاهر المعنى من غير فصلها عن نظرية الدلالة، فالتداولية بهذا المعنى تدرس اللغة من خلال إستعمالها ضمن سياق معين دون

---

[1]Martine Bracops, Introduction à la pragmatique,p1.

[2]فرانسوازأرمينيكو، المقاربة التداولية، تر: د سعيد علوش، مركز الإنتماء القومي، بيروت– لبنان، د ط، ص30.

[3]إدريس مقبول، الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، جدارا للكتاب العالمي، الأردن، عالم الكتب الحديث، الأردن، دط، 2008، ص264.

إهمالها للمعنى وعلاقته بظروف الكلام، فهي تهيم بالمتخاطبين ومقاصدهم والسياق الذي ترد فيه مع مراعاة المقام، وكل هذه العناصر مترابطة ومتداخلة فيما بينها.[1]

أمّا "فان دايك" "Van Digk" فيعرفها بأنها علم يختص ب" تحليل الأفعال الكلامية ووظائف منطوقات لغوية وسماتها في عمليات الإتصال بوجه عام"[2]، حيث يرى هذا الأخير أنّ التداولية تهتم بدراسة الأفعال الكلامية والكشف عن أهميتها في عملية التواصل والأثر الذي تتركه في مستعمليها، وتعتبر نظرية أفعال الكلام من أهم الأسس التي قامت عليها التداولية.

وعرفها "إيليوار" بأنها إطار معرفي يجمع مجموعة من المقاربات تشترك عند معالجتها للقضايا اللغوية في الإهتمام بثلاثة معطيات لما لها من دور فعال في توجيه التبادل الكلامي وهي:

- المتكلمين (المخاطِب والمخاطَب).
- السياق (الحال/المقام).
- الإستعمالات العادية للكلام، أي الإستعمال اليومي والعادي للغة في الواقع.[3]

والملاحظ هنا أن "إيليوار" ركز في تعريفه للتداولية على عناصر التبادل الكلامي المتمثلة في(المتكلم والسامع والسياق ودوره في تحديد المعنى) وذلك لما لها من أهمية في تحقيق التواصل، وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ عنصر "السياق" "Contexte" يعُدُّ من أهم العناصر التداولية التي يجب أخذها بعين الإعتبار في عملية الإنتاج اللغوي، لأنّ المعاني الحقيقية للملفوظات لا يمكن تحديدها إلاَّ إذا كانت ضمن سياق معين، إذ أنّ عملية الفهم

---

[1] إدريس مقبول، الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سبويه، ص265.

[2] محمد الأخضر الصبيحي، المناهج اللغوية الحديثة وأثرها في تدريس النصوص بمرحلة التعليم الثانوي، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه دولة، إشراف يمينة بن مالك، جامعة قسنطينة، 2004-2005، ص95.

[3] خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، د ط ، 2000، ص22، 23.

والإفهام لا يمكن أن تتم بمنأى عن السياق اللغوي الذي يُتيح للمُرسل التلفظُ بخطابة ضمن مقام معين يتجه به نحو المرسَل إليه، فيصبح معنى الملفوظ هو القيمة الحقيقية التي يكتسبها الخطاب في سياق التلفظ، أي إنّ المعنى كقيمة للملفوظ لا تتحكم فيه اللغة بقدر ما يتحكم فيه مستعملوها.[1]وعليه فإنّ كلاًّ من هذه العناصر الثلاثة(المرسل/المرسل إليه/سياق التلفظ) هي عناصر متكاملة لا يمكن الإستغناء عن أي عنصر منها أثناء عملية التواصل.

أما الباحث "ج، بول" "J.Paul" فهو يتفق مع "إيليوار" من حيث تعريفه للتداولية حيث يعتبرها "دراسة اللغة في الإستعمال" "In use" أو في التواصل " In interaction "لأنه يشير إلى أَنَّ المعنى ليس شيئا متأصلاً في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده ولا السامع وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول "Négociation" اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي وإجتماعي ولغوي) وصولاً إلى المعنى الكامن في كلام ما.[2]فإذا كانت التداولية تهتم بدراسة اللغة أثناء الإستعمال مركزة على عملية التواصل، فلا بدّ أن تتوفر جميع عناصر التواصل اللغوي من مرسِل ومتلقِ ورسالة يجب ردها إلى سياقها الحقيقي حتى يتحقق الغرض التواصلي منها.

وعلى الرغم من هذا الإختلاف والتضارب في تحديد مفهوم هذا المصطلح وتنوع التعريفات بتنوع الإتجاهات الثقافية والفكرية لواضعيها، إلاّ أننا نجد أنّ أغلب المفاهيم تتفق في بعض النقاط التي تسمح لنا بإستخلاص مفهوم آمل أن يكون شاملاً وكافياً لتحديد وضبط مصطلح التداولية، حيث يمكن أن تعرف بأنّها: دراسة اللغة أثناء الإستعمال، دون إهمال المعنى الذي يحدده السياق مركزّة في ذلك على عناصر العملية التبليغية وهي(المرسل والمرسل إليه) اللذين يعتبران طرفا الخطاب، أما الرسالة فهي الخطاب الذي يرسله المخاطِب إلى المخاطَب مراعيا في ذلك المقام ومقتضى الحال لتحقيق التواصل بهدف التأثير في

[1]عبد الهادي الشهري بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2004، ص22، 23.

[2]محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، د ط، 2002، ص14.

المشاركين في العملية التواصلية ككل، فالتداولية إذن تساعدنا على توضيح مقاصدنا وتحديدها ضمن سياق محدد ومناسب لها "لذلك وُجد مفهوم الفعل ومفهوم السياق، ومفهوم الإنجاز في التداولية".[1]

وتأتي أهمية التداولية في كونها تحاول الإجابة عن بعض الأسئلة الهامة والإشكاليات الجوهرية في الدرس اللساني الحديث من مثل:

- من يتكلم وإلى من يتكلم؟
- ما هو مقصدنا أثناء الكلام؟
- ما هو مصدر التشويش و الإيضاح؟

2-2- التداولية اصطلاحا عند العرب:

برزت جهود جادة في هذا المجال على الرغم من قلتها، من أهمها جهود الباحث "طه عبد الرحمن" و"أحمد المتوكل"، حيث ترجع ترجمة المصطلح الأجنبي " pragmatiques"بالتداوليات إلى الباحث المغربي"طه عبد الرحمن" سنة 1970، ويقول في هذا الصدد: "وقع اِختيارنا مند 1970 على مصطلح " التداوليات" مقابلاً للمصطلح الغربي "براغماتيقا" لأنه يوفي المطلوب حقه، بإعتبار دلالاته على معيني "الإستعمال" و"التفاعل" معاً. ولقي مند ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم[2]، ومن هذا المنطلق يعرّف "طه عبد الرحمن" التداولية في قوله: " التداول عندنا متى تعلق بالممارسة الترابية، هو وصف لكل ما كان مظهرًا من مظاهر التواصل والتفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس وخاصتهم، كما أنّ المجال في سياق هذه الممارسة، هو

[1] فرانسوازأرمينيكو، المقاربة التداولية، ص5.

[2] طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت – لبنان، ط2، 2000، ص27.

وصف لكل ما كان نطاقا مكانيا وزمنيا لحصول التواصل والتفاعل، فالمقصود ب "مجال التداول" في التجربة التراثية، هو إذن محل التواصل والتفاعل بين صانعي التراث.[1]

فالتداول من خلال هذا المعنى جاء بمعنى التواصل والتفاعل، وقد قسم "طه عبد الرحمن" أسباب التواصل والتفاعل إلى ثلاثة أسباب وهي أسباب لغوية وأسباب عقدية وأسباب معرفية.[2]

وفي سنة 1985 ظهر مؤلف للباحث المغربي "أحمد المتوكل" حول الوظائف التداولية بعنوان: "الوظائف التداولية في اللغة العربية"، حيث عُدَّ مؤلفه إنجازا تداوليا نحويا هاما، أسهم في إثراء هذا الإِتجاه الدراسي[3]، الذي حصر مصادر التفكير التداولي اللغوي العربي عند العرب في علم النحو والبلاغة وأصوله وتفسيره وكل هذه العلوم تؤول إلى المبادئ الوظيفية، إذ يرى أنّ: "إنتاج اللغويين العرب القدماء ، إذا أعتُبِر في مجموعه (نحوه وبلاغته وأصوله وتفسيره) درس لغوي"وظيفي" يشكل مرحلة من أهم مراحل تطور المقاربات الوظيفية في الفكر اللساني".[4]

وأولت هذه العلوم اِهتماماً كبيرًا لدراسة القرآن الكريم بِاعتباره نصاً خطابياً متكاملاً داخل مقامات إنجازه.[5]

---

[1] طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت – لبنان، ط2، دت،ص244.

[2] طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، ص245.

[3] حنفاوي بعلي، التداولية البراغماتية الجديدة، خطاب ما بعد الحداثة، مجلة اللغة والأدب – ملتقى علم النص، العدد17، جامعة الجزائر، جانفي 2006، ص51.

[4] أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية– مدخل نظري، منشورات عكاظ، الرباط– المغرب، دط، 1987م، ص9.

[5] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص140، 141.

المطلب الثاني: المقاربات التداولية

1-أفعال الكلام Les actes de language:

نشأت فكرة أفعال الكلام أو أفعال اللغة، من أهم مبدأ في الفلسفة اللغوية الحديثة، مجال نشأة التداولية وتطورها، وهو أنّ الإستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي فقط، بل إنجاز حدث إجتماعي معين أيضاً في الوقت نفسه، وذلك بعدما كانت الفلسفة الوضعية المنطقية تشترط مقياساً وحيدًا للحكم على دلالة جملة ما[1]، يطلق عليه مقياس الصدق والكذب.[2]"مما حصر العبارات اللغوية في منوال واحد، وهو العبارات الخبرية، كأن تصف واقعا ما، ويحكم على صدقها أو كذبها بمدى مطابقتها لذلك الواقع، نحو: (الجو جميل: صادقة في حال واحدة هي جمال الجو واقعا، وكاذبة في غير ذلك)، وجوهر الخبر عند هؤلاء الفلاسفة أنّه لا يقبل إلاّ إذا كان خاضعاً للتمحيص والتجريب، وأنّ الوظيفة الأساسية للغة هي وصف حالات العالم وإثباتها".[3]

ومن الذين تصدوا لهذه الفكرة(أوستين) من خلال محاضراته بجامعة(هارفارد) في 1955، حيث نبه إلى دلالة الجملة في اللغة العادية ليست بالضرورة إخبارًا، وهي ليست مقيدة دائماً بأن تحيل على واقع فتحتمل الصدق أو الكذب وأنّ القصد من الكلام هو تبادل المعلومات، مع القيام بأفعال تضبطها قواعد التواصل في الوقت ذاته مما ينتج عنه تغيير في وضع المتلقى، وتأثير في مواقعه.[4]

---

[1]خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص72، 73.

[2]ينظر : محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص17.

[3]خليفة، بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص73.

[4]المرجع نفسه، ص73.

2- الإشاريات:

الإشاريات هي علامات لغوية، لا يتحدد مرجعها إلاّ في سياق الخطاب، لأنها خالية من أي معنى في ذاتها، ولذلك فقد كان النحويون سابقا يطلقون عليها اِسم "المبهمات" فإذا أردنا أن نفهم مدلول هذه الوحدات، إستوجب منا ذلك- على الأقل- معرفة هوية المتكلم والمتلقي والإطار الزماني والمكاني للحدث اللغوي.[1]

3- الإفتراض المسبق:

لقد أثار هذا المفهوم إهتمام الدارسين والباحثين مند مطلع العقد السابع من القرن العشرين حيث ظهر المصطلح لأول مرة من طرف الفيلسوف الألماني "فريجه" وهذا بوصفه مشكلة من مشكلات علم الدلالة المنطقي المؤسس على الصدق، ثمّ أرسى مبادئ هذا المفهوم- فيما بعد- "ستراوسن" وهو أحد فلاسفة أكسفورد، ويشكل الإفتراض السابق الخلفية الأساسية على نجاح العملية التواصلية(التبليغية) حيث ينطلق المتخاطبون أثناء حواراتهم من معطيات وإفتراضات تكون مشتركة ومعلومة لديهم، لا يصرح بها المتكلمون وإنما تكون محتواة في القول[2]، وعلى هذا الأساس يوجه المتكلم خطاباً إلى السامع مفترضاً أنّ جوانب من هذا الخطاب ستكون معلومة بالضرورة لديه.

ولتوضيح هذا المفهوم نلاحظ المثالين الآتيين:

1- حوار بين شخصين(أو ب):

1-1- هل تحسنت صحتك؟

---

[1] ج بروان وج بول، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي، منير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض – المملكة العربية السعودية، د ط، 1997م، ص35.

[2] الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، دت، ص34.

فالإفتراض المسبق لهذه العبارة هو أنّ الشخص(ب) مريض وأنّ الشخص(أ) يعرف الشخص(ب) وعلى علم بمرضه، وبالتالي يجيب(ب) على النحو الآتي:

2-1- نعم لقد تحسنت قليلا، شكرا لإهتمامك.

لكن لنفترض أنّ هذه المعطيات غير مشتركة بين الطرفين وأنّ الشخص(ب) لا يعرف الشخص(أ) أو أنّه لم يكن مريضا في الأصل وهو في صحة جيدة، فسيجيب عليه بإحدى العبارات الآتية:

من قال أني مريض !

أنا بصحة جيدة ولم أكن مريضاً !

من أنت؟ أنا لا أعرفك !

4- الأقوال المضمرة "Les sons-entendus ":

هي المعاني المتضمنة في الخطاب والتي تحدد وفقاً للسياق الذي يَرد فيه، تقول "أوركيوني": "القول المضمر هو كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث".[1] ومثال ذلك قول شخص في غرفة مع صديقه: "أشعر بالبرد" فالمتكلم قد يقصد من وراء عبارته: أنّ الجو بارد بالفعل(المعنى الحرفي للعبارة)، وقد يريد من خلال عبارته أن:

- يثير اِنتباه صديقه لغلق النافذة أو الباب إذا كانا مفتوحين.
- يلفت اِنتباهه إلى إشعال المدفأة.
- أن يضع عليه غطاء آخر أو ما شابه ذلك.

وتبقى قائمة التأويلات هذه مفتوحة ومختلفة بإختلاف السياق الذي تردفيه، ويمكن تمثيل هذا المفهوم في المخطط الآتي:

[1] التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص32.

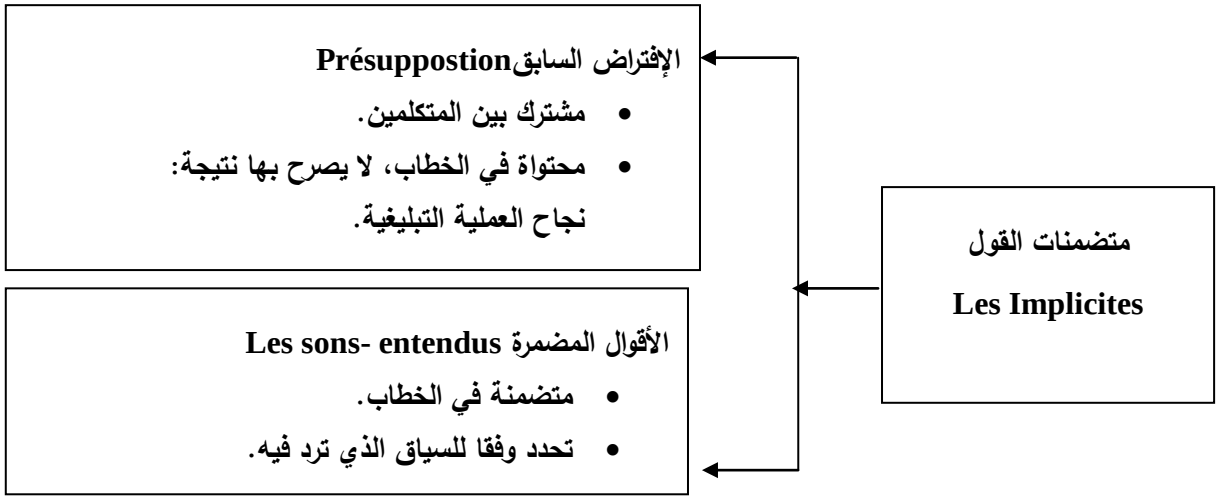

رسم توضيحي لمفهوم الأقوال المضمرة

المبحث الثاني: المدح

المطلب الأول: المدح تعريفه وأنواعه

1- شعر المدح:

هو إحسان الثناء على المرء بما له من الصفات الحسنة، مَدَحَهُ كمَنعَه مدحاً، ومدحه: أحسن الثناء عليه... والمديحُ والمِدْحَةُ والأمدُوحَة: ما يُمدحُ به، جمعُه: مَدَائِحُ وأَمَادِيحُ.[1]

2- المدح والحمد:

المدح: هو ذكر المحاسن، وهو الثناء بذكر الجميل، والمدح لا يستلزم المحبة، فالمدح هو إخبار مجرد، وقيل المدح هو ذكر المحاسن بمقابل وبدون مقابل، والمدح يكون بذكر الجميل الإختياري وغير الإختياري.

3-الفرق بين المدح والحمد:

الحمد: هو الذكر بالجميل الإختياري أي ذكر المحاسن دون إحسان، وهو ذكر الله بصفات الكمال، وقيل هو ذكر المحمود بصفات الكمال بمعنى ذكر صفات الكمال لله.

المدح: والحمد لغة يشتركان في نفس الحروف ولكن بترتيب مختلف وتباين في المعنى، وهذا يسمى في اللغة(إشتقاق أوسط) والمدح أعم من المدح لأنّ المدح يكون بذكر الجميل الإختياري وغير الإختياري كأن تقول: مدحتُ اللؤلؤ لصفاته، فهنا الممدوح ليس مختارًا لصفاته، والحمد أخص لأنّه يكون بذكر الجميل الإختياري فقط.

4- نشأة المدح وتطوره:

يذكر أنّ المدح قديم النشأة، ويرجع إلى زمن قديم جدًا، حيث يُعتقد أنّه فن يتصل بالعاطفة القديمة، وهو فن عريق لكنّه لم يُحفظ في التراث العربي القديم، إذ لم تكن دواعي حفظه قوية مثل باقي الفنون الأخرى، ويُشار إلى أَنَّ المدح إمتزج بفن الغزل مند القديم،

[1] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الحديث، مصر، د ط، 2008م، ص1516.

فالغزل يَكثُرُ الثناء على الحبيب، وذكر الأفراح والأحزان، لذلك كان المدح مُحتجَبًا تحت ستار الغزل، كما وُجِد المدح تحت طيَّات الفخر، حتّى عُدَّ المدح من الفخر، وبعد ذلك تطور المدح، وظهر العديد من شعرائه ومنهم: الأعشى، وإمرؤ القيس، وزهير بن أبى سلمى، والنابغة الذبياني، وغيرهم الكثير، وفي المقابل تَرَفَعَّ عدد من الشعراء عن شعر المدح، ومنهم: جميل بن معمر، وعمر بن أبي ربيعة، والعباس بن الأحنف.[1]

5-أنواع شعر المدح:

يتمثل شعر المدح العربي بنوعين إثنين، وهما كالآتي: [2]

5-1-المدح التكسبّي: وفي هذا النوع من يهدف الشاعر إلى الحصول على المال، أو الجاه، أو الرضا من الممدوح، وهو شعر فني فقير من العاطفة الصادقة، ومثاله قول الشاعر أبي نواس في مدح الخليفة العباسي هارون الرشيد:

وأخفت أهل الشرك حتى أن لتخافك البطن التي تخلق.

5-2-المدح الصادق: وهو المدح الذي يُظهر إثارة عاطفة المادح، ويُظهر مدى تأثره بأخلاق الممدوح، ويُحاول إظهارها لتنتشر بين الناس، ومن الأمثلة عليه مدح كعب بن زهير للمهاجرين، حيث يقول:

يمشون مشي الجمال الزهو بعضهم ضرب إذا المرد السوء التنايل.

6- أغراض الشعر العربي:

أمّا أغراض الشعر العربي فهي كما يلي:

6-1- المدح أي الثناء على ذي شأن بما يستحسن من الأخلاق النفسية كرجاحة العقل والعفّة والعدل والشجاعة وأنّ هذه الصفات عريقة فيه وفي قومه وبتعداد محاسنه الخلقّية،

[1] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص1516.

[2] رائدة مهدي جابر العامري (06-04-2011)، المدح في الشعر الحلي.

وشاع المدح عندما اِبتدل الشّعر واِتخذه الشعراء مهنة ومن أوائل مدّاحيهم زهير والنّابغة الأعشى.[1]

6-2-والفخر هو تمدّح المرء بخصال نفسه وقومه والتحدّث بحسن بلائهم ومكارمهم وكرم عنصرهم وفرة قبيلهم ورفعة حسبهم وشهرة شجاعتهم.[2]

6-3-الحماسة أي الصفة تتعلق بالقوة وسرعة الإنسان في ميدان الحرب وتتهكّم الإنسان في العالم.[3]

6-4- والرثّاء، وهو تعداد مناقب الميت وإظهار التّفجّع واللّهْف عليه وإستعظام المعيبة فيه.[4]

6-5- والهجاء هو تعداد مثالب المرء وقبيله ونفي المكارم والمحاسن عنه.[5]

6-6- والإعتذار هو درء الشّاعر التّهمة عنه والترفّق في الإحتجاج على براءته منها وإستمالة قلب المعتذر إليه وإستعطافه عليه، والنّابغة في الجاهلية فارس هذه الحلبة.[6]

6-7- الوصف أي شرح حال الشيء وهيئته على ما هو عليه في الواقع لإحضاره في ذهن السامع كأنّه يراه أو يشعر به.[7]

---

[1]أحمد الهاشمي، جواهر الأدب،بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، ط5، 1996م، ص343.

[2]المرجع نفسه، ص343.

[3]- Martine Bracops, Introduction à la pragmatique, p86.

[4]المرجع نفسه، ص343.

[5]المرجع نفسه، ص343.

[6]المرجع نفسه، ص343.

[7]المرجع نفسه، ص343.

6-8- الغزل هو الشعر يكلّم النساء المحبوب، ثم شعراء تعبّر أيضًا شوق وغمرات العشق والبؤس التي تجرّب.[1]

المطلب الثاني: التعريف بزين العابدين

1- زين العابدين:

أبو الحسن علي السّجاد بن الحسين بن علي بن أبي طالب، المعروف أيضا بلقب زين العابدين، ولد يوم 5 شعبان 38 هجري في المدينة المنورة وتوفي فيها في 25 محرم من سنة 95 هجري، ودفن بالبقيع إلى جانب قبر عمّه الحسن بن علي، وهو رابع أئمة الشيعة بكل طوائفهم.

شهدت الفترة التي عاشها علي بن الحسين كثيرًا من الأحداث التي وقعت في التاريخ الإسلامي، ومنها معركة كربلاء حيث كان حاضرًا فيها والتي قُتل خلالها أبوه الحسين بن علي ورجال أهل بيته، ولكن بسبب مرضه لم يتمكن من المشاركة في القتال، وكذلك واقعة الحرة وثورة التوابين وثورة المختار الثقفي، هناك مجموعة من الآثار التي نُسبت لعلي بن الحسين وهي: الصحيفة السجادية التي تحتوي على عبارات عبادية، وتأتي في المرتبة الثانية عند المذهب الشيعي بعد كتاب نهج البلاغة لعلي بن أبي طالب، ورسالة الحقوق والمناجاة الخمسة عشر ودعاء حمزة التمالي وقصيدة ليس الغريب إضافة إلى: كتاب علي بن الحسين، وديوان منسوب لعلي بن الحسين، ومصحف بخطه.

2- نسبه:

هو: علي بن الحسين بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهد بن مالك بن النضر جد قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن سعد بن عدنان، كُنِيَّ بأبي الحسن، وأبي محمد،

[1] - Martine Bracops, Introduction à la pragmatique, p89.

ومن ألقابه التي عرف بها: زين العابدين، سيد الساجدين والعابدين، وذو الثفنات والسجاد لُقّب به لكثرة سجوده.

فقد نشأ في وسط إيمان كامل، ونشأ على فطرة موروثة سامية وتتبع آثار جده، وحذا وحُذُوْ أبيه في صورة كريمة، حتى لقب بزين العابدين، ولقد صدق الفرزدق حينما يقول فيه:

"هَذَا الّذِي تَعْرِفُ البَطْحَاءُ وَطْأَتَهُ وَالبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالحِلُّ وَالحَـرَم

هَذَا ابنُ خَيرِ عِبَـادِ اللهِ كُلِّهِـــمُ هَذَا التَّقيُّ النَّقيُّ الطَّاهِرُ العَلَمُ".[1]

فهو هادئ النفس، منحها إلى الله في هذا الوسط الطاهر، وكان رحمه الله حليما تأسيًا برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ما كان يغضب لنفسه قط، وتأسيًا بأبي الأنبياء الذي كان حليما، وتأسيًا بجميع الأنبياء، وكان يضرب به المثل في الحلم.[2]

فعن أبي سعيد رضيّ الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة".[3]

إنّ سيدنا الحسين رضي الله عنه كاد نسله أن ينقطع لولا لطف الله سبحانه، هذا اللطف الذي أبق لنا نسلا فيهم رائحة الرسول صلى الله عليه وسلم، وفيهم من خلقه الأريحية والنجدة والقلوب العامرة بالإيمان.

3- أمه هي:

شاه زنان أو "شهر بانويه" بنت يزد جرد بن شهريار وقيل إسمها غزالة وقيل سلافة ورد في بعض مصادر أهل السنة أنها إبنة كسرى سبيت هي وأختها في زمن عمر بن الخطاب فتزوجها الحسين بن علي بن أبي طالب وتزوج محمد بن أبي بكر أختها.

---

[1] همام بن غالب بن صعصعة الفرزدق، الديوان، دار صادر، بيروت، ط1، 2006، ص363.

[2] عبد الحليم محمود، سيدنا زين العابدين، دار المعارف، كورنيش النيل- القاهرة، د ط، 1119م، ص32.

[3] المرجع نفسه، ص30.

وقال محمد بن سعد البغدادي وأبو محمد بن قتيبة الدينوري أنها إمرأة من السند، وشكك مرتضى المطهري وجعفر شهيدي بروايات زواج الحسين من شهر بانو وأعتبرها غير صحيحة.

4- أبناء زين العابدين:

-محمد الباقر

-عبد الله الباهر

-الحسن

-الحسين

-زين بن علي

-عمر

-الحسين الأصغر

-عبد الرحمن

-سليمان

-عليّ

-محمد الأصغر

-علية

-فاطمة

-عائشة

-خديجة

-أم كلثوم

شجرة عائلة زين العابدين:

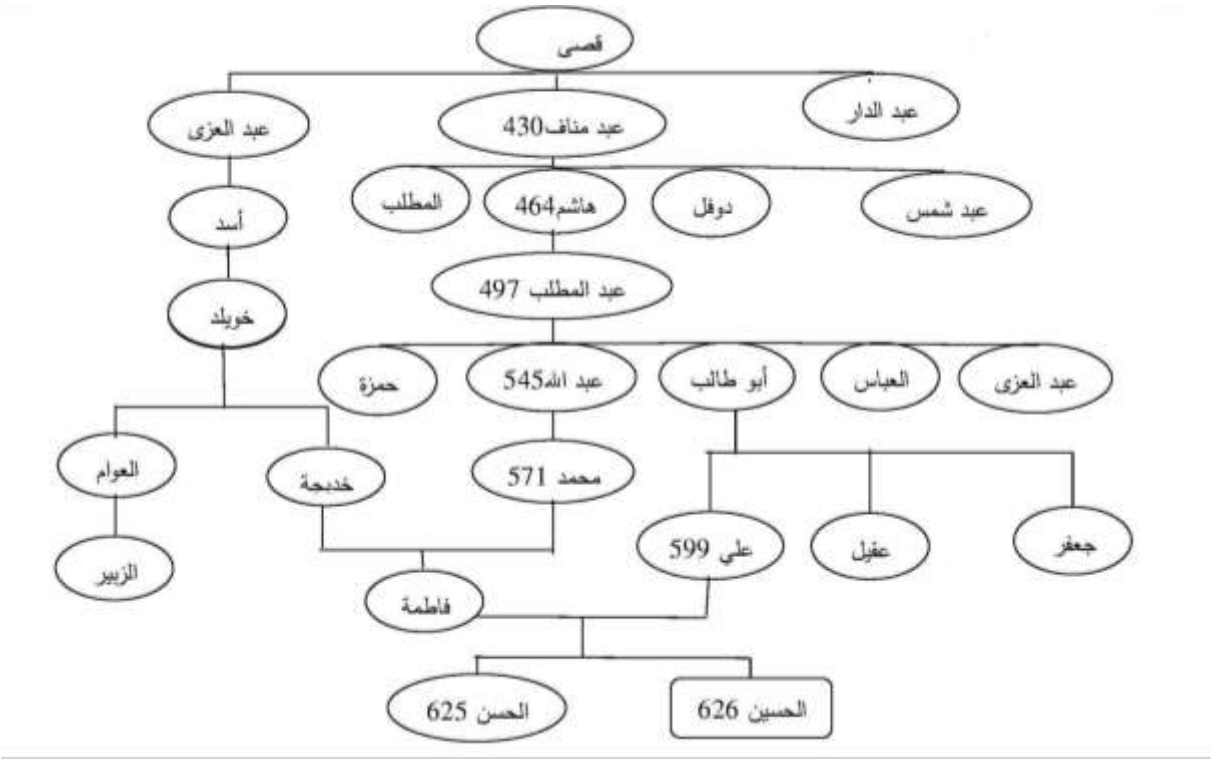

5- صفاته:

أسمر، قصير، رقيق، نقش على خاتمه عدة نقوش منها: "وما توفيقي إلا بالله، لكل غم حسبي الله، القوة لله جميعا، العزة لله، الحمد لله العلي، إنّ الله بالغ أمره".[1]

وربما كانت هذه الصيغ دليلا على أنه كان له عدة خواتم، نقش على كل منها شعار خاص، وتلتقي هذه الشعارات كلها لترشد إلى أن عليّ بن الحسين كان ملتقياً بقيادة إلى الله في إستسلام مطلق إنّه السجاد.

6- إمامته:

قام بأمر الإمامة بعد إستشهاد أبيه الحسين عام 61 هجري وله من العمر 23 سنة وتوفي مسموما في 25 محرم عام 95 هجري وله من العمر 57 سنة.

[1] عبد الحليم محمود، سيدنا زين العابدين، ص28.

7- سيرته عند أهل السنة والجماعة:

هو عند أهل السنة واحد من أهل البيت وإبن الحسين سيِّد شباب أهل الجنة وله من الفضل والعلم ما لا يُنكِره أحد، برز على الصّعيد العلمي والديني، إماما في الدّين ومنارًا في العلم، ومرجعا ومثلا أعلى في الوَرَعِ والعبادة والتقوى حتى سَلِمَ المسلمون جميعا في عصره بأنه أفقه أهل زمانه وأورعهم وأتقاهم، فقال الزهري وهو من معاصريه: "ما رأيت قريشا أفضل منه"، وقال سعيدُ بن المُسَيَّب وهو من معاصريه أيضا: "ما رأيت قط أفضل من عليّ بن الحسين"، وقال الإمام مالك: "سُمِّي زين العابدين لكثرة عبادته"، وقال سفيان بن عُيَنَة: "ما رأيت هاشميا أفضل من زين العابدين ولا أفقه منه"، وَعْدَهُ الشافعيّ أنه: "أفقه أهل المدينة"، قال شعيب بن أبي حمزة، عن الزُّهري: كان عليّ بن الحسين أفضل أهل بيته، وأحسنهم طاعة، وقال معَمرُ، عن الزهريّ: لَم أدرك من أهل البيت أفضل من عليّ بن الحسين، وقال إبن وهب، عن مالك: لم يكن في أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عليّ بن الحسين، وهو اِبن أمَة.

قال الأصمعي: لم يَكُن للحُسَيْنِ بن عليّ عقب إلا من اِبنه علي بن الحُسينِ، ولم يكن لعليّ ولد إلاّ من أم عبد الله بنت الحسن، وهي إبنة عمه، قال سعيدُ، بن عامر عن جُوَيريه بن أسماء: ما أكل عليّ بن الحسين بقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وسلم دِر همًا قط، وقال يونس بن بُكيْر، عن "محمد بن إسحاق": كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم، فلما مارّ عليّ بن الحسين فقدوّا ما كانوا يُؤْتُونَ به بالليل.

واشتهر على كتب الشّيعة أدعية بِاسم "الصحيفة السّجادية" لهذا الإمام مليئة بالأدعية الخالصة لله.

8- مكانة زين العابدين:

كان علي زين العابدين ذَا مكانة عظيمة في عيون الناس، وكانوا يُحِبُونَهُ ويُقَدِرُونَهُ لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان له جلاله عظيمة، وكان أهلاً للإمامة العظمى لشرفه وسؤدده وعلمه وكمال عقله، كما كان رجلاً صالحًا وتابعيًّا ثقة، ومأمونًا كثيرًا الحديث عاليًا رفيعًا ورعًا، حيث قال عنه سعيد بن المسيب: ما رأيت أروع منه، وقال الزهري:

مارأيتهاشميا أفضل من علي بن الحسين، وما رأيت أحدًا كان أفقه منه، وقال يحي بن سعيد: علي بن الحسين أفضل هاشمي رأيته بالمدينة، وقال اِبن وهب: لم يكن في أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل علي بن الحسين.

وممّا يُؤكد تلك المكانة أنَّهُ لَمَّا حَجَّ هشام بن عبد الملك في خلافة أخيه الوليد وطاف بالبيت وأراد أن يستلم الحجر فلم يستطع من الزحام، فنُصِبَ لَهُ منبرٌ فجلس عليه، وقال أهل الشام حوله، وبينما هو كذلك أقبل عليَّ زين العابدين بن الحسين وجعل يطوف بالبيت، ولَمَّا بلغ إلى موضع الحجر تنحيَّ الناس لَهُ عنه حتى يستلمه، هيبة لهُ وإجلالاً وتقديرًا، فقال أهل الشام لهشام بن عبد الملك: ما هذا؟ فقال: لا أعرفه، فقال الفرزدق وكان حاضرًا: أنا أعرفه، وأنشدَ:

هَذَا الذِّي تَعْرِفُ البَطْحَاءُ وَطْأَتَهُ والْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلُّ والْحَــرَمُ

هَذَا إِبْنُ خَيْرِ عِبَــادِ الله كُلِّــهِمُ هَذَا التّقِيُ النّقِيُ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ.[1]

9- حكمه وأقواله:

يقول زين العابدين: " عجبت للمتكبر، الفخور الذي بالأمس نطفة، وغدا جيفة. وعجبت كل العجب لمن شك في الله وهو يرى خلقه. ولمن أنكر النشأة الآخرة وهو يرى الأولى ".[2]

وكان يوصي أبناءه الابتعاد عن أصحاب السوء كالكذابين، البخلاء والحمقة...

حيث قال لبعض بنيه: "يابني أنظر خمسة فلا تصاحبهم، ولا تحادثهم، ولا ترافقهم في الطريق.

فقال: يا أبه، من هم؟

قال: إياك ومصاحبة الكذاب، فإنّه بمنزلة السراب، يقرب لك البعيد ويبعد لك القريب. وإياك ومصاحبة الفاسق، فإنّه بائعك بأكلة أو أقل من ذلك. وإياك ومصاحبة البخيل، فإنّه

[1] همام بن غالب بن صعصعة الفرزدق، الديوان، دار صادر، بيروت– لبنان، ط1، 2006م، ص363.

[2] عبد الحليم محمود، سيدنا زين العابدين، ص91.

يخذلك في ماله أحوج ما تكون إليه. وإياك ومصاحبة الأحمق، فإنّه يريد أن ينفعك فيضرك. وإياك ومصاحبة القاطع لرحمه، فإنّي وجدته ملعونًا في كتاب الله ".[1]

وقال: "المؤمن من دعائه على ثلاث: إمّا أن يدخر له، وإمّا أن يعجل له، وإمّا أن يدفع عنه بلاء يريد أن يصيبه".[2]

حيث أن المؤمن إذا دعى ربه إمّا أستجاب له وإمّا يدخِرُهُ له في الآخرة وإمّا يدفع عنه البلاء والمصيبة.

ويحكي على صفات المنافق قائلا:

"إنّ المنافق ينهى ولا ينتهى، ويأمر ولا يأتي، إذا قام إلى الصلاة اِعترض، وإذا ركع ربض، وإذا سجد نقر".[3]

فهو يوضح هنا أنّ المنافق يأمر بفعل ولا يأتي بمثله، وإذا قام للصلاة كان سجوده وركوعه في سرعة ولهفة.

وقال عن المؤمن:

"المؤمن خلط علمهُ بحلمه، يجلس ليعلم، وينصت ليسلم، لا يحدث بالأمانة إلاّ صدقا، ولا يكتم الشهادة للبعداء، ولا يعطي شيئا من الحق رياء ولا يتركه حياء، إن زكى خاف مما يقولون ويستغفر الله لما لا يعلمون، ولا يضره جهل من جهله".[4]

وقال أيضا:

"خمس لو رحلتم فيهن لألقيتموهن وما قدرتم على مثلهن:

---

[1] عبد الحليم محمود، سيدنا زين العابدين، ص93، 94.

[2] المرجع نفسه، ص94.

[3] المرجع نفسه، ص95.

[4] المرجع نفسه، ص95.

لا يخاف عبد إلاّ ذنبه، ولا يرجو إلاّ ربه، ولا يستحي الجاهل إذا سئل عما لا يعلم أن يتعلم، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له".[1]

وذكر في منجيات المؤمن عدم اِغتياب النّاس، وعمل عمل صالح لآخرته ودنياه، وطول البكاء إذا فعل خطيئة حيث يقول: "ثلاث منجيات للمؤمن: كف لسانه عن النّاس واِغتيابهم، وإشغاله نفسه بما ينفعه لآخرته ودنياه، وطول البكاء على خطيئته".[2]

ومن حكمه أيضا:

قوله: "إن قومًا عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإن قومًا عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار، وإن قومًا عبدوه شكرا فتلك عبادة الأحرار".[3]

[1] عبد الحليم محمود، سيدنا زين العابدين، ص95.

[2] المرجع نفسه، ص98.

[3] المرجع نفسه، ص100.

الفصل الثاني
تداولية المدح في ميمية الفرزدق

المبحث الأوّل: المدح بالصفات الذاتية للممدوح

المبحث الثاني: المـــــــــدح بـالـنســـــب

يحتفظ الأدب العربي بقلائد لا يخمد ذكرها بمرور الأيام، ولا يذهب حيتها على مرّ العصور والأعوام ولازالت تبدع صورًا وتثير أحاسيسًا وإنفعالات حيّة للمتأمل فيها، والمتعمق في كنهها لما اِحتوته من جمال العبارة ودقة التصوير.

ونجد ميمية الفرزدق في مدح زين العابدين المعروف بـ علي السّجاد، وهي أبيات من عيون الشعر العربي، تمثل مواقف مهمة في تاريخ الأدب العربي وفي حياة صاحبها أيضا، خاصة فيما يتعلق بمكارم الأخلاق ومحامدها.

وذكرت هذه القصيدة "هَذَا الّذي تَعْرِفُ البَطْحَاءُ وَطْأَتَهُ"، «لمّا حج هشام بن عبد الملك في أيام أبيه، طاف بالبيت وجهد أن يصل إلى الحجر الأسود ليستلمه، فلم يقدر على ذلك لكثرة الزحام، فنصب له كرسيٌ وجلس عليه ينظر إلى الناس، ومعه جماعة من أعيان فبينما هو كذلك إذ أقبل الإمام زين العابدين بن علّي بن أبي طالب، فطاف بالبيت. فلما انتهى إلى الحجر تنحى له الناس حتى استلم الحجر، فقال رجل من أهل الشام لهشام: من هذا الذي هابه الناس هذه الهيبة؟ فقال هشام: لا أعرفه، مخافة أن يرغب فيه أهل الشام. وكان الفرزدق حاضرا، فقال: أنا أعرفه».[1]

وذكر قصيدته المعروفة بميمية الفرزدق التي سنتطرق إليها فيما يلي:

هَذَا الّذي تَعرِفُ البَطْحَاءُ* وَطْأَتَهُ وَالبَيْتُ يَعْرِفُـــهُ وَالحِلُّ**وَالحَـرَمُ

هَذَا ابـنُ خَيـرِ عِبَــادِ اللهِ كُلِّهِـمُ هَذَا التَّقـيُّ النَّقـيُّ الطَّاهِرُ العَلَـمُ

هَذَا ابنُ فَاطِمَــةٍ إنْ كُنْتَ جَاهلَهُ بِـجَـدّهِ أنبِيـاءُ اللهِ قَدْ خُتِمُـــوا[2]

وَلَيْسَ قَوْلُكَ مَــنْ هَذَا بِضَائِـرِه العُرْبُ تَعْرِفُ مَن أنكَرْتَ والعَجَمُ

---

[1] همام بن غالب بن صعصعة، ديوان الفرزدق، دار صادر، بيروت– لبنان، ط1، 2006م، ص363.

*البَطْحَاءُ: أرض منبطحة وفي وسطها مكة.

**وَالحِلُّ: ما جاوز الحرم من الأرض.

[2] المصدر نفسه، ص363.

كِلْتَا يَدَيْهِ غَيَاثُ* عَمَّ نَفْعُهُمَـــا يُسْتَوْكَفـانِ وَلا يَعْرُوهُمَا عَـدَمُ
سَهْلُ الخَلِيقَةِ** لَا تُخْشَى بَوَادِرهُ يَزِينُهُ اثنانِ حُسنُ الخَلَقِ والشّيمُ
حمّالُ أَثْقالِ أقوَامٍ إذا افتُدِحُوا*** حُلوُ الشّمائِلِ تَحلُو عندَهُ نَعَـــمُ
ما قالَ لا قطُّ إلّا في تَشَهّـدِهِ لَولا التّشَهّدُ كانَتْ لاءَهُ نَعَـــمُ
عَمَّ البَرِيّةَ**** بِالإحسانِ فانْقَشَعَتْ عَنْها الغَياهِبُ وَالإمْلاقُ وَالعَدَمُ
إذا رَأَتْـهُ قُرَيْشُ قـــالَ قـائِلُهـا إلى مَكَارِمِ هَذا يَنْتَهِي الكـــرَمُ
يُغْضِي حَياءً وَيَغْضَى من مَهابَتِهِ فَمَا يُكَلَّمُ إلّا حِينَ يَبْتَسِـــــــمُ
بِكَفِّهِ خَيْزرانُ رِيـــحُهُ عَبِقٌ***** من كَفَّ أَرْوَعَ في عِرْنِينِهِ شمـمُ
يَكَادُ يُمْسِكُهُ عِرْفـــانَ راحَتِهِ رُكْنُ الحَطيمِ إذا ما جاءَ يَسْتَلِـمُ
اللهُ شَرَّفَهُ قِدَمـاً وَعَـظّمَـــهُ جَرى بِذاكَ لَهُ في لَوْحِهِ القَلَـــمُ
أيُّ الخَلائِقِ لَيْسَتْ في رِقابِهِمْ لِأوّلـيّـةِ هـذا أَوْ لَـــهُ نِعـــمُ
مَن يَشكُرِ اللهَ يَشْكُرْ أَوّلِيّةَ ذا فَالدِّينُ من بَيتِ هذا نَالَهُ الأُمَـمُ[1]
ينَمَى إلى ذُرْوَةِ الدّين التي قَصُرَتْ عنها الأكفُّ وَعـن إدرَاكِـهَا القدَمُ
مَنْ جَدُّهُ دانَ فضلُ الأنبِياءِ لَـــهُ وَفـضـلُ أُمَّتِهِ دانـتْ لَـهُ الأُمَـــمُ
مُـــشْتَقَّةٌ من رَسولِ اللهِ نَبْعَـــتُهُ طابَتْ مَغارِسُـهُ وَالخِيـــمُ والشِّيَـمُ

---

*غَيَاثُ: المطر الخاص بالخير.

**الخَلِيقَةِ: الطبيعة.

*** افتُدِحُوا: أثقلوا بالمصائب.

**** البَرِيّةَ: الخَليقة.

*****عبِقٌ: الذي تفوح منه رائحة الطيب.

يَنْشَقُّ ثوبُ الدُّجَى عن نورِ غِرَّتِه كالشّمس تَنْجابُ عن إِشْراقِهَا الظُّلَمُ
من معشَرٍ حُبُّهمْ دينٌ وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَقُرْبُهُمْ مَنجَى وَمُعتَصَمُ
مُقدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللهِ ذِكْرُهُمْ في كُلِ بَدْءٍ وَمَخْتومٌ بِه الكَلِمُ
إِنْ عُدّ أهلُ التّقَى كانوا أئِمّتَهُمْ أوْ قيل من خيرُ أهل الأرْض قيل هم
لا يَستَطيعُ جَوَادُ بَعدَ جُودِهِمُ وَلا يُدانِيهِمْ قَوْمٌ وَإن كَرُمُوا
هُمُ الغُيوثُ إذا ما أَزْمَةٌ أزَمَتْ* وَالأسُدُ أُسدُ الشَّرَى وَالبَأسُ مُحْتَدَمُ
لا يُنْقِصُ العُسرُ بَسطاً من أكُفّهِمُ سيّانِ ذلك إن أثرَوُا وَإن عَدِمُوا
يُستدفَعُ الشرُّ** والبَلوَى بحبِّهِمِ وَيُسْتَربّ بِه الإحسانُ وَالنّعَمُ[1]

تعتبر ميمية الفرزدق قصيدة عمودية، أي أنّها كلام موزون مقفى منظم على شكل أبيات مجتمعة في قصيدة شعرية متكونة من 27 بيت، فالشاعر اِعتمد في قصيدته هذه على الشعر العمودي.

وحرف الرويّ فيها هو الميم ومنه قول الشاعر:

هَذَا ابنُ خَيرِ عِبَادِ اللهِ كُلِّهِمُ، هَذَا التَّقيُّ النَّقيُّ الطَّاهِرُ العَلَمُ

وقوله أيضا:

من معشَرٍ حُبُّهمْ دينٌ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ، وَقُرْبُهُمْ مَنجَى وَمُعتَصَمُ

فجميع أبيات القصيدة ينتهي بحرف الميم، لذا عرفت بـ: "ميمية الفرزدق".

هَذَا الّذي تَعرِفُ البَطْحَاءُ وَطْأَتَهُ، وَالبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالحِلُّ وَالحَرَمُ[1]

---

*أزَمَتْ: إشتدت.

**استدفع الشر: طلب أني دفع عنه، أي يبعد عنه.

[1] همام بن غالب بن صعصعة الفرزدق، الديوان، دار صادر، بيروت– لبنان، ط1، 2006م، ص ص363-365.

هَاْدَ لْلَذِيْ تَعْرِفُ لْبَطْحَاْءُ وَطْأَتَهُ وَلْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَلْحِـلْلُ وَلْحَـــــرَمُو

0/// 0//0/0/ /// 0//0/0/ /// 0//0/0/ 0//0/

مسْتَفْعِلُنْ فَاْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعَل مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُ مُسْتَفِعلُنْ فَعَلُنْ

ومن خلال تقطيع البيت نستنتج أنّ هذا البحر هو: بحر البسيط ومفتاحه هو:

«إنّ البسيط لديه يبسط الأمل مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن»[2]

وتحمل هذه القصيدة مضمون وهو كالتالي:

في مطلع القصيدة أراد الفرزدق أن يعرّف "هشام بأنّ هذا الرجل ليس نكرة، فهو معروف لدى مكة المكرمة كلها ومنها بيت الله الحرام ومواقع الحِلِّ والإحرام... فالبطحاء هي "أرض مكة المكرمة"، بِحِلِّهَا وحرمها، تعرف رجْلَهُ ودخوله، وبيت الله يعرفه أيضًا... وإذا كان هشام بن عَبْدُ الملك زَعَمَ أمام النّاس أنه لا يعرف هذا الرجل الذي حُظِي بإحترام الكل، فليس أَذَّلَ على جهله، فمكة الطاهرة بِحِلِهَا وحَرَمِهَا بالإضافة إلى بيت الله تعرفه وتعرف وطأته، ما يَذُلُ بلا شك على إيمان هذا الرَجُلَ "زين العابدين، وعمق علاقته بالمولى جلَّ شأنه.

وفي البيت الثاني فقد اِبتدأ الشاعر بوصف زين العابدين، فجاء بِاسم الإشارة(هذا) وهو الاِسم الذي يدل عل القريب بخلاف ذلك وذاك التي هي للبعيد وذلك للدلالة على أنّ هذا الرجل قريب من النّاس ومعروف لديهم، فهو يتصف بصفات شخصية تزيده فخرا على فخر، تتمثل في كونه (تقيا، نقيا). فزين العابدين من أهل التقى، بل هو على درجة عالية من الطهارة بلغت درجة النقاء.

[1] همام بن غالب بن صعصعة الفرزدق، الديوان، ص363.

[2] الزواوي الهاشمي قرنان، الميّسر في علوم البلاغة والعروض- المعاني والبيان والبديع والعروض والقافية، ط1، 2011م، ص220.

وأمّا بالنسبة للبيت الثالث فذكر فيه الشاعر بعض الحقائق عن الإمام زين العابدين بأنّ أمّه هي فاطمة الزهراء، وجده هو الرسول محمد عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء والمرسلين.

وفي البيت الرابع وجّه الشاعر رسالة إلى هشام فقول له بأنّه لا يعيب الإمام زين العابدين إنكارك له بل هذا أمر يعيب هشام، فليس هناك من عربي أو أعجمي من لا يعرف من هو زين العابدين.

وفي الخامس يواصل الشاعر ذكر الصفات الحسنة عند الإمام زين العابدين، فيشبه يديه بالغيث الذي ينفع الجميع دون أن يعتري يديه العدم.

وفي البيت السادس نجده يصف الإمام زين العابدين بأنّه يسهل التعامل معه، وليس له ردود فعل حادة، ويصفه بحسن الخلق.

وأمّا في الأبيات من[7 إلى10] يوضح الشاعر بأنّ الإمام زين العابدين كان يشعر مع النّاس في همومهم الثقيلة ويتحمل المعاناة معهم، وقد بلغ الإمام زين العابدين من الكرم والسخاء أنّه لا يقول "لا" أبدا إلاّ في التشهد، وإعلان الوحدانية، ثمّ يكمل الشاعر في وصف زين العبدين بأنّه من إحسانه وأخلاقه اِنتشرت قيم العلم وتراجع الفقر والتخلف وهي إشارة على وجوده رحمة للنّاس.

وفي البيتان[11-12] يشير إلى قوة شخصية زين العابدين وتأثيره على الآخرين، وبأنّه شخص مهاب عند الغير، كما أنّه دائم الإبتسامة حين الحديث معه، وبأنّ في يده الخيزران ذو رائحة طيبة.

ويوضح الشاعر في البيتين [13-14] علاقة زين العابدين ببيت الله الحرام، فيقول بأنّ الحطيم وهو ما يحيط بالكعبة المشرفة يعرف من هو زين العابدين، كما ذكر بأنّ زين العابدين له مكانة محفوظة.

وبالنسبة إلى الأبيات من [15 إلى 20] يوضح أنّ عظمة ومكانة زين العابدين جاءت من تمسكه بمبادئ الإسلام ومن أخلاق الرسول صلّى الله عليه وسلم بأنّ زين العابدين جاء

من أسرة وبيئة طاهرة ومؤمنة، ثمّ يقول الشاعر بأنّ من يشكر الله يجب أن يشكر عباده الذين ساهموا في نشر دين الإسلام بين الأمم.

ومن البيت 21 إلى آخر القصيدة يوضح الشاعر فيهم مدى أهمية زين العابدين ويشبه حبه بحب الدين وكرهه بالكفر، ثمّ يقول بأنّ ذكره أي ذكر أهل البيت يأتي بعد ذكر الله في كل بداية ونهاية للكلام، ثمّ يكمل وصف أهل البيت بما فيهم من كرم وجود وغير ذلك.

المبحث الأوّل: المدح بالصفات الذاتية للممدوح

بناءً على ما تقدم نتطرق في هذا المبحث إلى نماذج المدح في بعض أبيات قصيدة "هَذَا الّذي تَعْرِفُ البَطْحَاءُ وَطْأَتَهُ" للفرزدق، نظرا لأهميتها من خلال اِستظهار قيمتها داخل الشعر العربي، والكشف عن غرضها التداولي مع مراعاة الشروط الملائمة لنجاحها.

والتداولية هي دراسة اللغة في الاِستعمال أو في التواصل؛ لأنّها تشير إلى أنّ المعنى ليس شيئًا متصلًا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا المتلقي وحده فصناعة المعنى تتمثل في تداولية اللغة بين المتكلم والمتلقي في سياق محدد وصولًا إلى المعنى الكامل في كلام ما، ونعرض فيما يأتي بعض من أبيات القصيدة، وكيف اِستعمل الفرزدق المدح في ميميته، ومن أمثلة ذلك نذكر منها:

يقول الشاعر:

هَذَا الّذي تَعرِفُ البَطْحَاءُ وَطْأَتَـهُ وَالبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالحِـلُّ وَالحَـــــرَمُ

هذَا ابنُ خَيـــرِ عِبَــادِ اللهِ كُلِّهِـمُ هَـــذَا التَّقيُّ النَّقيُّ الطَّاهِرُ العَلَـمُ[1]

يذكر الفرزدق البطحاء وهي أرض بمكة والبيت الحرام والحرم المحيط به فهذه الأماكن المشرّفة تعرفه حق المعرفة فكيف ساكنيها، فالممدوح يعرفه عباد الله جميعا، فشاعرنا يعرف بممدوحه ليرد على جاهله هشام بن عبد الملك لبن بنت رسول الله وهو خاتم الأنبياء والرسل وأفضلهم، فهو كثير الزيارة لبقاع الله المقدسة، ما يدّل بلا شك على إيمانه، وعمق علاقته بالمولى جلّ جلاله، وربما تطلب تداولية المدح من الفرزدق أن يبدأ الأبيات بصيغ المدح متشابهةً وأن يدرس كل جوانب السياق وكل ما يتعلق بالمعنى تعطيها جرسا موسيقيا وتمنحه فرصة التدرج في عرض الصفات وتهيء الممدوح ليتلقى أكثر من صفة.

ويسلك الفرزدق ذلك السبيل في عرض صفات الإمام عليه السلام فيعمد في مديحه إلى إثبات هذه الصفات (التقيّ، النقيّ، الطاهر، العلم) التي تحمل العديد من المعاني، أي أنّ

[1] همام بن غالب بن صعصعة الفرزدق، الديوان، ص363.

زين العابدين من أهل التقوى؛ أي لا يجده الله إلاّ طائعًا، ولا يراه عاصيًا، بل هو على درجة عالية من الطهارة، بلغت درجة النقاء، التي لا يدنسه شيء، من الناحية المعنوية والمادية على حد سواء، لذلك مدحه الفرزدق بصفاته الذاتية التي يتحلى بها، وقد مدحه بهذا المدح لأنّه يعطيه قيمة كبيرة وفوق هذا وذاك فهو سيدٌ في قومه، لينتهي بحقائق ثابتة واضحة للعيان وهي أنّه بن فاطمة وجده خاتم الأنبياء عليه السلام، ويقيم على مخاطبة الحجة لمعرفة العجم له لا العرب فحسب ومنزلته من الدين الإسلامي الذي يقف هشام بن عبد الملك بِاسمه حاكما.

ويتعجب الفرزدق من جهله وعدم معرفته قبل أن يوجه إليه الكلام، وبما بدأ به الفرزدق مديحه، ومجانسة بين الحِلّ والحرم، التقيّ والنقيّ، ليلتمس حجةً واضحة فيزيد شعره إقناعا ومدحا وخصمه إلزاما.

فتداولية المدح في "ميمية الفرزدق" واضحةً في ورود المدح بصفاته الذاتية التي تتعلق بفضائل الممدوح ومنجزاته مستندة إلى إيقاع موسيقي، ممّا جعلها ظاهرة مميزة لقصيدته زيادة على ما يصاحبها من تدقيق في الوصف وفخامة تكاد تملأ الفم عند الإنشاد.

يقول الشاعر:

كِلْتَا يَدَيْهِ غَيَاثُ عَمَّ نَفْعُهُمَـــا يُسْتَوْكَفـانِ وَلا يَعْرُوهُمَا عَـدَمُ

سَهْلُ الخَلِيقَةِ لَا تُخْشَى بَوَادِرهُ يَزِينُهُ اثنانِ حُسنُ الخَلَقِ والشّيمُ[1]

يصور الفرزدق سخاء الإمام، وكرمه وجوده بوصف يديه بغياث دائم وكرم لا يتوقف وعطاءٍ لا ينقطع، ويستمر بعرض سماته المعنوية وأخلاقه الروحية بنبرة المدح مستعملا اللغة للتواصل والمعرفة، حيث وصفه الفرزدق في الكرم الذي لا يختلف عن المطر، الذي لا يتوقف وليس له حد معين.

[1] همام بن غالب بن صعصعة الفرزدق، الديوان، ص363.

فكلتا يديه غياثٌ(مطر) عمّا(شمل واسع) نفعهما، وهما يستوكفان(يطلبان) ولا يعريهما أو يصيبهما عدم، ولقد وصف الفرزدق كرم الإمام دون أن يطلق كلمة "كرم أو جود أو سخاء" وإنّما اِنطلق مباشرة بإطلاق التشبيه والقول بأنّ الإمام يملك يدين كل واحدة مثل المطر، الكل يطلب عطاؤهما، ومع ذلك لا يتوقف هذا العطاء.

حيث أنّ الفرزدق مدح الإمام بكرمه وجوده والسخاء الذي يتحلى به وزاده علوًا ومكانة قيمة.

فالفرزدق هنا وصف الإمام بأخلاقه السامية التي يتجلى بها فزادته علوًا ومكانة عظيمة وصار سيدًا في قومه يهابه الجميع، فكرمه ليس محدودا بحد، ولم يقتصر على القرباء أو أهل المدينة مثلا، وإنّما كرمه عام على الكل فهل هذا الرجل يمكن إنكاره؟ ! فصفاته حقيقية ومشاعره صادقة، وقد كان لتداولية المدح في ميمية الفرزدق دورا فاعلا ومؤثرا في متلقيه، فزين العابدين يمتلك صفتين متداخلتين مع بعضهما، فهو يحمل الطباع الطيبة لدرجة أنّه في حال الغضب لا يخرج عن الحق ولا تصدر منه مواقف ذات صفة إنتقامية، وفي الوقت نفسه فهو يحمل منظرا جميلا، وربما كان الجمال الظاهري نتج عن الجمال الداخلي الذي يتصف به المتمثل في السّجية أو الطبيعة اللينة السهلة.

ثمّ يقول في صورة أخرى:

حمّالُ أَثْقالِ أقوَامٍ إذا أفتُدِحُوا حُلوُ الشّمائِلِ تَحلُو عندَهُ نَعَمُ[1]

إلى الإمام السّجاد يحمل عن النّاس أثقالهم وهمومهم في حال المصيبة الفادحة؛ أي أنّه يعيش مع النّاس، ويشعر بكلّ معاناتهم، ويتحمل معهم تلك المعاناة، لذلك ليس غريبا أن يبتعدوا عنه كي يستلم الحجر ولا يفسحون المجال إلى آخر يتعامل بفوقية واِستكبار.

واِستخدم الفرزدق لفظة "حمّال" وهي صفة مبالغة على وزن "فعّال"، لِامتداح قدرة الإمام عليه السلام بصفاته الذاتية، على تحمل هموم قومه واِهتمامه بها وعمله الدؤوب على مديد العونلهم للتغلب عليها، وتأكيد بأنه كثير الحمل لهذه الأثقال، بمعنى أنّ مستوى الشعور

[1] همام بن غالب بن صعصعة الفرزدق، الديوان، ص363.

بمسؤولية اِتجاه الغير، ومساعدة من يحتاج، تتم بصورة كبيرة غير محدودة، فهو حلو الشمائل تحلو عنده النعم.

فشعر الفرزدق اِنعكاس لصدى نفسيته المتعالية لذا جاءت عباراته في جزلة قوية عبّرت عن عاطفة صادقة حيّة، فهو مدحه بتحمل هموم قومه لأنّه لم يضرب عبدًا أو أمةً قط.

ويقول أيضا:

ما قالَ: لا قطُّ، إلّا في تَشَهّدِهِ، لَولا التّشَهّدُ كانَتْ لاءَهُ نَعَـــمُ

عَمَّ البَرِيّةَ بِالإحسانِ، فانْقَشَعَتْ عَنْها الغَياهِبُ وَالإمْلاقُ وَالعَدَمُ

إذا رَأَتْـهُ قرَيْشُ قالَ قـائِلُهــا: إلى مَكَارِمِ هَذا يَنْتَهِي الكـــرَمُ[1]

هنا يذكر تسميته لأمر الله ورضاه به، على الرغم ممّا مر به من اِستشهاد والده والمجزرة التي حلت به وبأهله وصحبه صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا رضي الله عنه.

حيث أنه لولا قراءته للشهادة التي فيها(لا إله إلّا الله) ما ورد لفظ(لا) في كلامه قط، فهذا دليل يقدمه الفرزدق بوصف مباشر على رضا الإمام بقضاء الله والتسليم لأمره ولذلك فقد جعل الله سبحانه وتعالى إحسانه مخلصا للبرية من الفقر والعدم بكرمه، ولقد بلغ الجود لديه، حدا أن كلمة(لا) غير موجودة في قاموسه، بل أنّ كلمة(نعم) هي الأصل ولا يذكر لفظ(لا) إلاّ في التشهد وإعلان الوحدانية "أشهد أنّ لا إله إلّا الله" .

وهذه الصورة تشير إلى مستوى الكرم وحب العطاء المتكن من الإمام السّجاد، وإذا كانت صفة الكرم من الصفات التي يتفاخر بها العرب، فإنّ كرم زين العابدين بلغ حد أنّه لا يرفض لأحد طلبا.

ومنه فالشاعر لا يتوقف عن وصف الصفات الناجمة عن طيب السجية، وشمول العطاء ويتطرق إلى فكرة سبق أن ذكرها لكن بصورة أكثر بلاغة ودقة، فالإمام هنا ذو خير على البرية جمعاء، ومن إحسانه اِنتشرت قيم العلم، وتراجعت حالات الجهل(الغياهب)،

[1] همام بن غالب بن صعصعة الفرزدق، الديوان، ص363، 364.

والفقر(الإملاق)، والتخلف(العدم)، فوجود الإمام السّجاد هو رحمة للنّاس، وغيابه يعني شيوع حالات الفقر والجهل والدمار، وبالتالي فإنّ هذا الإمام هو قمة الكمال، لذلك ليس غريبا أن تتحدث عنه قريش بأنّ الكرم ينتهي بالوصول إلى كرم هذا الرجل، حيث أنّ قريش تقول بأنّ المكارم تتوقف عند مكارم هذا الشخص، فكل المكارم تتضاءل عند مكارم علّي السجاد.

فالعرب والعجم والأرض والنّاس، بل وحتى قريش يعترفون بالفضل لهذا الرجل، ويمثل الفرزدق هبة الإمام بين النّاس مستعملا أسلوب المدح فيصفه بضمير الغائب وهو يراه أمامه ليزيد الأمر تهيبا وإحتراما للإمام، ويمدحه بأنّه قمة الكمال وطيبة السجية وأنّ المكارم تتوقف عند مكارمه ممّا زاده علوًا ومكانة مرموقة وسط قومه.

وفي قوله:

يُغْضِي حَياءً وَيَغْضَى من مَهابَتِهِ فَمَا يُكَلَّمُ إلّا حِينَ يَبْتَسِـــــــمُ[1]

حيث أنّه يغض طرفه خجلا وحياءً يقابله النّاس بغض الطرف عنه فلا يحدقون به تهيبا منه وإحتراما له ولا يحدثهم حتى يبتسم فكأنّه بهذه الإبتسامة يأذن لهم بالكلام معه، فكأنّ النّاس لعظم هبته لا يرفعون إليه أبصارهم إلّا إذا إبتسم لهم وذلك في إشارة إلى قوة شخصيته وعدم تأثيره في الطرف الآخر.

وإحتوى البيت صورة فنية في كلمتي(يُغضي) التي تنطوي على معنى مغاير لكلمة(يُغضَى)، فالأولى تعني أنّه شديد الحياء بينما الثانية تعني أنّ الآخر هو الذي أغضى، ومع ذلك فالكلمتان تتشابهان في عدة حروف، فهما تجمعان الشيء ونقيضه، ومنه فكلا الصفتين تنطبقان على هبة الإمام وحسن معشره وطيب خلقه.

الشاعر يمدح الصفات الشخصية الذاتية مع الصفات الخارجية الشكلية فينتقل من بستان إلى آخر، ويقطف ورودًا هنا وهناك، فالفرزدق راح يصف بعض السلوكات الشخصية التي يتصف بها علّي السّجاد فيقول بأنّه شديد الحياء، والحياء من الإيمان، إلى حد أنّه ينزل رأسه أمام أي شخص يلتقيه.

[1] همام بن غالب بن صعصعة الفرزدق، الديوان، ص364.

ليعود بعد ذلك إلى وصف العصا التي يحملها الإمام بيده فكأنّه متضوعا بالطيب وفي أنفه شمم وشموخ إذ يقول:

بِكَفِّهِ خَيْزرانُ رِيحُهُ عَبِقٌ، من كَفَّ أَرْوَعَ، في عِرْنِينِهِ شمــمُ

يَكَادُ يُمْسِكُهُ عِرْفانَ راحَتِهِ، رُكْنُ الحَطيمِ إذا ما جاءَ يَسْتَلِـــمُ[1]

ثمّ يصور حجر الكعبة مستعيرًا ليصف حب الحجر للإمام ورائحته الزكية فإذا ما اِستلم الإمام هذا الحجر فإنّه لن يدعه أو ينأى عنه لرائحته التي تحمل رائحة النبي صلّى الله عليه وسلم، ويصف الشاعر بأنّ في كفيه خيزران ريحها جميل وطيب، ويزيد جمال الصورة الفنية، حيث شبه كفيه وهما يحملان خيزران ينبثق منه الرائحة الطيبة، وفي أنفه أيضا رفعة وهبة، ويعيد الجانب التحليلي إلى شعره بعد بيان وتفصيل لصفات عدة تميز بها، ويعطي قصيدته لونا مميزا من المزاوجة بين الصفات الشخصية الداخلية مع الصفات الخارجية الشكلية في ميمية الفرزدق، حيث أنّ الحطيم هو جميع ما يحيط بالكعبة يعرفون هذا الإمام الجليل، والحجر الأسود من شدة حبه لهذا الرجل يكاد يمسكه.

وأمّا في قوله:

اللهُ شَرَّفَهُ قِدَمــاً وَعَــظّمَــــهُ جَرى بِذاكَ لَهُ في لَوْحِهِ القَلَــمُ

أيُّ الخَلائِقِ لَيْسَتْ في رِقابِهِمْ لِأوّلــيّــةِ هــذا أَوْ لَـــــهُ نِعــمُ

مَن يَشكُرِ اللهَ يَشْكُرْ أَوّلِيّــةَ ذا فَالدِّينُ من بَيتِ هذا نَالَهُ الأُمَمُ[2]

يمدح الفرزدق الإمام السّجاد مفتخرا بتكريم الله سبحانه له وتشريفه إياه وتعظيمه فكأنّه أراد له هذه الصفات المتفردة فقدرها وكتبها وخصه بها من أول خلقه فلا يمكن للنّاس إنكار ذلك فهو مقدر مكتوب من جانب وأنّه وأهل البيت بها أهل الفضل والنعم على النّاس وما دام كذلك فكيف يمكن للنّاس إنكاره، بل الأولى الإقرار بفضل الإمام وشكره وأهله فهم الذين

[1] همام بن غالب بن صعصعة الفرزدق، الديوان، ص364.

[2] المصدر نفسه، ص364.

أتوا بهذا الدين وأشاعوه بين الأمم، فمن يشكر الله على نعمه الكثيرة وأبرزها نعمة الدين، لابدّ وأن يشكر عباده الذين نشروا هذا الدين، وبذلوا الغالي والنفيس من أجل الرسالة، فمن لا يشكر المخلوق لا يشكر الخالق.

وفي كلّ ذلك يستعمل الفرزدق أسلوب المدح الذي يمدح به زين العابدين ويراه أمامه مفتخرا به في شعره، حيث مدحه بأهل بيته، فهو علّي بن الحسين بن علّي بن أبي طالب وكنيته أبو محمد، وأبوه هو الحسين بن علّي وأمه شهربانو بنت يزد جرد الثالث التي اِتصفت بالعفة والطهارة وسمو الأخلاق، وحدة الذكاء ووالده سيد شباب أهل الجنة، ويرد أسلوب المدح في قصيدة الفرزدق بكثرة ليتم بها صفات الغمام عليه السلام، حيث أنّه من أعظم النّاس حلما، وأعظمهم للغيظ، واِتصف كذلك بالخَلَقية الخُلُقية، الشجاعة والتجرد عن الأنانية، والإحسان إلى النّاس والسخاء، وحنوه على الفقراء، فكان أرحم النّاس وأبرهم بأهل بيته.

ويقول تارة أخرى:

يُنَمَى إلى ذُرْوَةِ الدّينِ التي قَصُرَتْ عنها الأكفُّ وَعن إدرَاكِـهَا القَـدَمُ

يَنْشَقُّ ثوبُ الدُّجَى عن نورِ غِرَّتِـهِ كالشّمس تَنْجابُ عن إِشْراقِهَا الظُّلَمُ[1]

برز المدح في قصيدته بوضوح، وهو يصور نيل الإمام عليه السلام غاية الدين التي قصرت ولا تطالها الأيدي ولا الأرجل، ونجد في أبيات الفرزدق قوة روحية ذات سمة أخلاقية رفيعة المستوى تعبر عن صدق المشاعر وحقيقة ما يحمله من صفات يرتفع بها عن سائر النّاس وتميزه ممن سواه فطابت سجيته وأخلاقه.

وقد اِعتمد الفرزدق عدة آليات فنية لإيصال الصورة، والتي أساسها عظمة وسمو زين العابدين، فتارةً بطريقة السؤال الذي هدفه الإقرار والتحدي، وتارةً أخرى بطريقة مجازية، فحين يقول:

«يُنَمَى إلى ذُرْوَةِ الدّينِ التي قَصُرَتْ عنها الأكفُّ وَعن إدرَاكِهَا القَـدَمُ»[1]

[1] همام بن غالب بن صعصعة الفرزدق، الديوان، ص364.

حيث أنّ زين العابدين ينتمي إلى الإسلام وقد فهمه فهما عميقا، والتي عجزت الكثير من النّاس، التي وصفها بالأكف والأقدام، وهو يقصد بذلك العقول والأفكار، ولا يكتفي بذلك حيث أنّه شبه زين العابدين بالشمس التي متى أضاءت اِنجلت الظلمة لضوئها، وفي إشارة إلى أنّ الحياة بدون هذا الرجل وما يمثله هو جهل وضلالة واِنحراف، فهو يتحلى بالصفات الشخصية التي جعلت منه عظيما، وأبرزها اِنتمائها للإسلام واِرتباطه برسول الله صلّى الله عليه وسلم، وقد مدحه بهذا المدح العظيم كله مما زاده سمو عظمة مميزة في قومه، فالتداولية هي تهتم بدراسة كل ما يتعلق بالمعنى وبكل جوانبه لكي يكون متضح، مما جعلت النص الشعري يزيد جمالا وإبداعا.

وفي قوله:

من معشَرِ حُبُّهمْ دينٌ وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَقُرْبُهُمْ مَنجَى وَمُعتَصَمُ

مُقــدَّمُ بَعْدَ ذِكْـرِ اللهِ ذِكـرُهُمْ في كُلِ بَدْءٍ وَمَخْتومٌ به الكَلِـمُ[2]

لم يكتفي الفرزدق بالحديث عن الصفات الشخصية لزين العابدين والتي جعلت منه عظيما، وأبرزها اِنتمائه للإسلام، واِرتباطه برسول الله صلّى الله عليه وسلم حيث يوضح الشاعر في هذه مدى أهمية زين العابدين ويشبه حبه بحب الدين وكرهه بالكفر، ثمّ يقول بأنّ ذكره أي ذكر أهل البيت يأتي بعد ذكر الله بكل بداية ونهاية للكلام ثمّ يكمل وصف أهل البيت بما فيهم من كرم وجود وغيرهم، وهذه المسألة من صميم مذهب أهل البيت، ويضيف على ذلك جملة (قُرْبُهُمْ مَنْجَى وَمُعْتَصَمُ) معنى هذا أنّهم عين الحياة.

فتداولية المدح في ميمية الفرزدق بارزة في ورود الممدوح زين العابدين وأهل بيته، حيث أنّها تساعد على توضيح المقصود وتحديده ضمن سياق معين لكي تزيد قصيدته قوة ووضوح المعنى المراد.

---

[1] همام بن غالب بن صعصعة الفرزدق، الديوان، ص364.

[2] المصدر نفسه، ص364.

ويختم الشاعر قوله بـ:

لا يَستَطيعُ جَـوَادُ بَعدَ جُودِهِـــمُ وَلا يُـدانِيهـِمْ قـَوْمٌ، وَإن كَرُمُـــوا

هُمُ الغُيوثُ إذا ما أَزْمَـــةٌ أزَمـَتْ وَالأسُدُ أُسدُ الشَّرَى وَالبَأسُ مُحْتَـدَمُ

لا يُنْقِصُ العُسرُ بَسطاً من أكُفّهِمُ سيّــانِ ذلك إن أثـرَوُا وَإن عَدِمُــوا

يُستدفَعُ الشـرُّ والبَلوَى بحبِّهــِمِ وَيُسْتَـربّ بـه الإحسانُ وَالنـّعـــمُ[1]

الفرزدق هنا يمدح شعره بالقوة والشجاعة والكرم حيث أنّ جواد لا يصل إلى جودهم وكريما لا يصل إلى مقامتهم الرفيعة ولا يصل أحد إلى شجاعتهم فهم الأسود إذا اِحتدمت المعارك وهم الأمطار إذا اِشتد الجوع والعطش، وأياديهم مبسوطة عند كل يسر وعسر، وهم رحمة الله الواسعة في هذه الأرض، فهم أهل الجمال والتقوى والإحسان والخير والجوع والشجاعة.

وبهذا الموقف وهذه الصفات كأنّ الفرزدق يريد القول لهشام وللحاكم من بعده إنّ شخصا بهذه المواصفات المثالية، وأسرة بهذه الروح وهذا العطاء، هل يستحقون من الأمة القتل والتعذيب والتشريد والسجن والتجاهل، أم يستحقون التقدير والاِحترام والحب؟فمن يحبهم يبقى في الدائرة، ومن يبغضهم يخرج منها، ومن يتطلع إلى النجاة عليه بهذه السفينة، وإلاّ فالغرق نصيبه، فبهم يستدفع البلوى ويستزاد الإحسان والنعم.

ومنه فالفرزدق يعدد صفات ممدوحه "علّي السّجاد" مراوحا فيها المدح بالصفات الذاتية الشخصية الداخلية، والصفات الخارجية الشكلية، وتتوافق ميمية الفرزدق مع منا سبة هذه القصيدة.

ونجد الفرزدق في قصيدته التي مازتها تداولية المدح يبتعد عن الإغراب في اللفظ مفضلا الألفاظ السهلة الواضحة والمتصلة فيما بينها، ونجد فيها سلسلة تهتم بدراسة اللغة في الاِستعمال أو في التواصل، وتدرس كل جوانب المعنى لكي يكون متضح ومفهوم لدى

[1] همام بن غالب بن صعصعة الفرزدق، الديوان، ص364، 365.

المتلقي، وأن يكون تداول اللغة بين المتكلم والتلقي في سياق محدد وصولا إلى المعنى الكامل والشامل في كلام ما، فبهذا هو يجدب ممدوحه في عملية التلقي.

وعلى الرغم من أننا نجد في شعر هذا العصر معاني مشتركة عند أغلب الشعراء، ومبالغة في إضفاء الصفات على الممدوح سواء أكان الشاعر مؤمنا بما يقول أم أنّه يجعل ذلك المديح وسيلة تداولية تدرس كل ما يتعلق باللغة في الإِستعمال أو في التواصل، إلاّ أننا نجد في مدح الفرزدق لعلّي السّجاد صفات حقيقية ومشاعر صادقة، وقد كان للتداولية الواضحة في القصيدة دورا فعالا ومؤثرا في متلقيه.

ومنه ضرب آل البيت أروع الأمثلة في البطولة، التي تتحرى الحق وتعمل من أجله «وقد إِتخذوا من رسول الله صلّى الله عليه وسلم مثلهم الأعلى في عدم التخلي عن إرادة الحق والعمل من أجل الحق».[1]

[1] عبد الحليم محمود، سيدنا زين العابدين، ص19.

المبحث الثاني: المدح بالنسب

يقول الشاعر:

هَذَا ابنُ خَيرِ عِبَــادِ اللهِ كُلِّهِــمُ هَذَا التَّقيُّ النَّقيُّ الطَّاهِرُ العَلَــمُ

اِبتدأ الشاعر هنا بمدح نسب زين العابدين، وجاء بِاسم الإشارة هذا وهو إسم يدل على القريب، وذلك للدلالة على أن الرجل قريب من النّاس ومعروف لديهم، وكأنّ الفرزدق أراد الإشارة إلى جهل هشام بدليل أنّه لم يعرف هذا الرجل الذي هو بن خير عباد الله كلهم؛ أي بن رسول الله، فهل أحد بموقع هشام يجهل بن بيئته؟

وهنا أراد الفرزدق أن يوجه طعنة نجلاء لهشام حينما تحدث عن "خير عباد الله كلهم" والذي يفخر بأصله أموي.

فتداولية المدح هنا تجسدت من آل مدح النسب المتصل برسول الله صلّى الله عيه وسلم، فسيدنا الحسين رضي الله عنه كاد نسله أن ينقطع لولا لطف الله سبحانه، هذا اللطف الذي أبقى لنا نسلا فيهم رائحة الرسول "صلّى الله عليه وسلم" وفيهم من خلقه الأريحية والقلوب العامرة بالإيمان والأرواح المتطلعة من السماء لا تشغلها الدنيا بزخارفها، حيث وظف الشاعرهنا المدح تداوليًا عن طريق الإفتخار بنسب الرسول "صلّى الله عليه وسلم" المتعالي مما زاده فَخرًا وعلوًا وسموًا وشأنًا عظيمًا.

ويقول أيضا في المقطع التالي:

هَذَا ابنُ فَاطِمَةٍ إنْ كُنْتَ جَاهلَهُ بِجَدّهِ أنبِيَاءُ اللهِ قَدْ خُتِمُـــــوا[1]

وهذا البيت هو أقوى بيت يتحدث فيه عن مدح نسبه، حيث الشاعر هنا يورد حقيقة واضحة، لا لبس فيها ولا خلاف عليها، فهذا الرجل هو بن فاطمة الزهراء، وجده محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء صلوات الله وسلام عليه، فلا فخر بنسب بعد هذا النسب، إذ قال بأنّه بن فاطمة في إشارة إلى أنّ هذا الرجل يمدح أمّه وأباه فضلا عن أبيه وجده.

[1] همام بن غالب بن صعصعة الفرزدق، الديوان، ص363.

فالقيمة التداولية هنا بمدح زين العابدين بأمه فاطمة رضي الله عنها التي هي بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلم، إذ لها مكانة عند أبيها صلّى الله عليه وسلم، حيث كان يقوم إليها ويستقبلها ويقبل يدها إجلالاً بذلك لأمّها خديجة رضي الله عنها، فعن عائشة بنت طلحة، عن أُمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «مَا رَأَيْتُ أحدًا كَانَ أَشْبَهُ كَلاَمًا، وحَديثًا من فاطمة برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، وكانت إذا دخلت عليه رحبّ بها، وقام إليها، فأخذ بيدها، وقبل يدها، وأجلسها في مجلسه»[1]، فالرسول صلّى الله عليه وسلم كان يحب فاطمة رضي الله عنها لدرجة أنّه كان يقوم ويجلسها في مجلسه وذلك لمكانتها عنده صلّى الله عليه وسلم.

ونلاحظ في القصيدة بأنّ الشاعر رفع مكانة زين العابدين بأمّه فاطمة الزهراء.

وعن علّي رضيّ الله عنه أنّه قال لفاطمة: ما خيرُ النساء؟ قالت: ما لهنّ خيرٌ من أن لا يرين الرِجالَ، ولا يرونهُنَّ، قال: فذكَرْتُ ذلك للنبي صلّى الله عليه وآله وسلم وأخبره بقول فاطمة، فقال: «إنّ فاطمة بِضْعَةٌ مِنِّي».[2]ذكر في هذا القول بأنّ فاطمة جزء من أبيها الذي هو سيد الخلق وفي القصيدة نجد الشاعر يمدح علي السّجاد بأمّه فاطمة والتي أبوها هو"محمد"عليه أزكى الصلاة والسلام.

وكانت رضي الله عنها تلعب بالصديقة، فعن أبي عبد الله جعفر بن محمد قال: «كانت فاطمة تُسمّى الصِّديقَة».[3] فإذا كانت الأم صادقة إلى درجة أنّها تلقب بالصديقة فبطبيعة الحال تكون تربيتها سليمة وصالحة، وتحت رعايتها– بعد رعاية الله تعالى– تنشأ منها أجيال راقية تحمل شعلة العلم والخُلُقُ.

---

[1]أبو عبد الله الحاكم لنبينا بوري، فضائل فاطمة الزهراء، ت: علّي رضا بن عبد الله بن علّي رضا، دار الفرقان، القاهرة، ط1، 2008م، ص35.

[2]أبو عبد الله الحاكم لنبينا بوري، فضائل فاطمة الزهراء، ط1، 2008م، ص54.

[3]المرجع نفسه، ص56.

ولفاطمة كان حظ من دعاء رسول الله صلّى الله عليه وسلم لقوله: «اللَّهُمَّ هَؤلاءِ أهْلي»[1] قاصدا عليّ وفاطمة والحسن والحسين.

والبيان أن فاطمة رضي الله عنها من الدين أذهب الله عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرًا لقول الله عز وجل: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) [سورة الأحزاب، الآية 33].

فهو اِستعمل المدح تداوليّا من أجل إظهار قدر ومكانة زين العابدين بإلحاقه بأمّه فاطمة ومن على زيادة مكانته، فقد مدحه بهذا المدح العظيم الذي يليق به مما زاده فخرا بنسبه وأصله العريق وجعل له مكانة عالية.

وأمّا في قوله:

مَنْ جَدُّهُ دانَ فضلُ الأنبياءِ لَهُ وَفضلُ أُمَّتِهِ دانتْ لَـهُ الأُمَـمُ

مُشْتَقَّةٌ من رَسولِ اللهِ نَبْـعَتُهُ طابَتْ مَغارِسُهُ وَ الخِيمُ والشِّيَمُ[2]

نجد الفرزدق هنا يوضح أنّ عظمة زين العابدين، جاءت من اِرتباطه وتعلقه بعظمة رسول الله صلّى الله عليه وسلم، وبالرابط النسبي والرابط المدني، فهذا الرجل نسبه وأصله طاهر وتربية صالحة ومن بيت يتسم بشمولية خيره على البرية جمعاء، إذ هو حفيد النبي ومن ألقابه التي عرف بها زين العابدين: سيد السّاجدين والعابدين، السّجاد وذو الثفنات.

فنلاحظ هنا أنّ أصله ونسبه له شأن وعظمة عالية، فأصله أصل طاهر وشريف، فقوله: (مُشْتَقَّةٌ من رَسولِ اللهِ نَبْعَتُهُ)؛ أي أنّ زين العابدين أصله مشتق من رسول الله ونابع منه، حيث أنّه ورد عنه الأخلاق الكريمة بِاعتباره من أهل بيته.

فرسول الله صلّى الله عليه وسلم، نشأ يتيما كفله جده عبد المطلب، وبعده عمه أبو طالب بن عبد المطلب، «وطهّره الله عز وجل من دنس الجاهلية ومن كل عيب، ومنحه كل

[1] همام بن غالب بن صعصعة الفرزدق، الديوان، ص61.

[2] المصدر نفسه، ص364.

خلق جميل، حيث لم يكن يُعرف بين قومه إلاّ بالأمين، لما شاهدوا من أمانته وصدق حديثه وطهارته».[1]

فجاءت التداولية هنا تمدح زين العابدين بجده محمد صلّى الله عليه وسلم وقد مدحه هكذا لأنّه من بيت أهله، وتربى على سيرته، ونشأ في دينه مما زاده هذا النسب فقها الذي أخده من جده صلّى الله عليه وسلم، حيث أنّ التداولية أزالت الغموض وسبب ذلك يعود إلى التناسب والترابط بين كلمات الأبيات الشعرية لكي يعطي معنى أكثر وضوح، وهذا من المجال الذي اِتسم به الشعر العربي بعد القرآن الكريم.

فقد يعجز الإنسان أحياناً عن بعض الكلمات والمقاصد التي يتألف منها الشعر العربي عند النظر إليها بشكل منفرد دون النظر إلى الكلمات السابقة واللاحقة إليها، فعند ملاحظة هذه السوابق واللواحق لتلك الكلمة يمكن أن يزول هذا الغموض، لأن التداولية تدرس اللغة في التواصل وتشير إلى أنّ المعنى ليس شيئاً متصلا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده ولا المتلقي وحده، فيجب تداول اللغة بين المتكلم والمتلقي في سياق محدد للوصول إلى المعنى الكامل في الكلام مع مراعاة جوانب السياق المختلفة في دراستها للتعبير عن عمل معين.

ويقول هنا:

اللهُ شَرَّفَهُ قِدَمــاَ وَعَــظّمَــــهُ جَرى بِذاكَ لَهُ في لَوْحِهِ القَلَــمُ

الله تعالى شرّف زين العابدين ورفع مكانته بين الإنسانية جمعاء، فالله يُعَظِم رجلاً، كتب له مقام في اللوح المحفوظ، وهذه العظمة جاءت من عمق علاقته بالله أولاً ثمّ اِشتقاق نبعته من نبعة رسول الله، فالشاعر اِمتدح زين العابدين بنسبه المعظم من منطلق أنّه شرفه في عيون النّاس، فهو من قبيلة ذات مجد رفيع.

[1] أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقديّ، مختصر سيرة النبي صلّى الله عليه وسلم– وسيرة أصحابه العشرة، ت، خالد بن عبد الرحمن بن حمد الثايغ، دار بلنسية، الرياض المملكة العربية السعودية، ط2، 2001م، ص55.

فجاءت تداولية المدح هنا من خلال مدح زين العابدين بتشريفه وتعظيمه فكانت علاقة بيت الله الحرام علاقة ودٌّ، حيث له مكانة محفوظة في اللوح المحفوظ*عند الله عز وجل، فزين العابدين اِتجه إلى العبادة، وهذه العبادة لها طابعها السّامي، وكانوا الناس يحبونه ويقدرونه لقرابته من رسول الله صلّى الله عليه وسلم، وكان له جلالة عظيمة، وكان أهلاً للإمامة العظمى لشرفه وعلمه وكمال عقله، كم كان رجلاً صالحًا وتابعيّ ثقة، ومأمونا كثير الحديث عاليا رفيعا ورعا، حيث قال عنه سعيد بن المسيب: "ما رأيت أروع منه" فجاء هذا البيت زاخرا بمدح عظمة ومكانة زين العابدين، وقد كن للتداولية أثرا واضحا هنا فقد لعبت دوراً فعالًا وجعلت لنا اللغة واضحة المعنى، ودرست كل ما يتعلق بالوسائل المستخدمة لغويًا للتعبير عن عمل معين، واِبتعدت عن الغموض.

يقول الشاعر:

مَن يَشكُرِ اللهَ يَشْكُرْ أَوّلِيّةَ ذا فَالدِّينُ من بَيتِ هذا نَالَهُ الأُمَـمُ[1]

من يشكر الله يجب أن يشكر عباده الذين ساهموا في نشر دين الإسلام بين الأمم، ولقد اِتجه علي بن الحسين إلى العبادة، إنّه يقول: "إن قومًا عبدوا الله رهبةً فتلك عبادة العبيد، وآخرون عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار، وآخرون عبدوه محبة وشكرًا فتلك عبادة الأحرار الأخيار".[2]

فتداولية المدح هنا تجسدت في مدح زين العابدين بدينه الإسلام، فهو عند أهل السنّة واحد من أهل البيت واِبن الحسين سيد شباب أهل الجنة وله من الفضل والعلم ما لا ينكره احد برز على الصعيد العلمي والديني، إماما في الدين ومنارًا في العلم، ومرجعا ومثلا أعلى في الورع والعبادة والتقوى حيث سلم المسلمون جميعا في عصره بأنّه أفقه أهل زمانه وأوْرَعهم

[1] همام بن غالب بن صعصعة الفرزدق، الديوان، ص363.

[2] عبد الحليم محمود، سيدنا زين العابدين، ص29.

*اللوح المحفوظ: هو مصطلح في العقيدة الإسلامية، يدل بشكل عام على أداة حفظ بها الله مقادير الخلق قبل أن يخلقهم.

وأتقاهم، وقد سمي بزين العابدين لكثرة عبادته، واِشتهر بالورع والطّاعة والتّقوى وكان عابدًا زاهدًا، وقد وردت كتب الصحيفة السّجادية لهذا الإمام مليئة بالأدعية الخالصة لله .

فجاءت التداولية هنا تمدح زين العابدين بدينه لكثرة عبادته فقد قالوا عنه أنّه إذا أراد الوضوء أصفرّ لونه.

فعلي بن الحسين منسوب إلى المدينة المنورة ودفن في البقيع إلى جانب قبر عمّه الحسن بن علّي، فهو في الذروة من الشرف لهذا النسب الخاص، وعلّي السجاد من الطوافين بالبيت، فهو من أئمة أهل البيت الطاهر، ومنزلة زين العابدين تنهل من منبع الرسالة حيث نشأ في بيت النبوة، وهنا يوجد علماء للنزعة التداولية.

خاتمة

خاتمة:

نستنتج مما سبق ذكره النتائج التالية:

وضح الفرزدق من خلال قصيدة "ميمية الفرزدق" إلى حد كبير المراد والمعنى والسبب في نظمها ومطابقتها مع مقتضى الحال.

بدأ الفرزدق ميميته بصيغ المدح بذكر الصفات الذاتية لزمن زين العابدين وصفات النسب، وكذا دراسة كل جوانب السياق وكل ما يتعلق بالمعنى والتي أعطتها جرسًا موسيقيا، ومنحته فرصة التدرج في عرض الصفات وهيئت الممدوح ليتلقى أكثر من صفة.

تجلت التداولية في شعر الفرزدق بذكر صفات زين العابدين، فيعمد في مديحه إلى أسلوب المدح، والمراوحة بين المدح بصفات الذات وصفات النسب والذي يحمل مجموعة من الخصال الحميدة فله علاقة عميقة مع المولى جل جلاله.

كما أنّ الفرزدق مدح زين العابدين بصفاته الشخصية التي يتحلى بها وجعلته رجلًا عظيما، وأبرزها اِنتماءه للإسلام واِرتباطه برسول الله صلّى الله عليه وسلم في قومه، فالتداولية تهتم بدراسة كل ما يتعلق بالمعنى وبكل جوانبه لكي يكون واضحا مما جعلت النص الشعري يزيده جمالاً.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم رواية ورش عن نافع، دار المعرفة.

المصادر والمراجع باللغة العربية:

أولا –المصادر:

1- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الحديث، مصر، دط، 2008م.

2- همام بن غلب بن صعصعة الفرزدق، الديوان، دار صادر، بيروت–لبنان، ط1، 2006م.

ثانيا- المراجع:

1- أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية- مدخل نظري، منشورات عكاظ، الرباط- المغرب، دط، 1987م.

2- أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، لبنان، دار الكتب العلمية، ط5، 1996م.

3- إدريس مقبول، الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، جدارا للكتاب العالمي، الأردن، عالم الكتب الحديث، الأردن، د ط، 2008م.

4- التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي.

5- ج بروان وج بول، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي، منير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض – المملكة العربية السعودية، دط، 1997م.

6- الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها، ت: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، دت.

7- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة ، الجزائر، ط1، 2009م.

8- خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، دط، 2000م.

9- رائدة مهدي جابر العامري (06-04-2011)، المدح في الشعر الحلي.

10- الزواوي الهاشمي قرنان، الميّسر في علوم البلاغة والعروض- المعاني والبيان والبديع والعروض والقافية، ط1، 2011م.

11- طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت – لبنان، ط2، دت.

12- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، المغرب، بيروت – لبنان، ط2، 2000م.

13- أبو عبد الله الحاكم لنبينا بوري، فضائل فاطمة الزهراء، ت: علّي رضا بن عبد الله بن علّي رضا، دار الفرقان، القاهرة، ط1، 2008م.

14- عبد الحليم محمود، سيدنا زين العابدين، دار المعارف، كورنيش النيل- القاهرة، د ط، 1119م.

15- عبد الهادي الشهري بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان، ط1، 2004.

16- فرانسوازأرمينيكو، المقاربة التداولية، ت: د سعيد علوش، مركز الإنتماء القومي، بيروت- لبنان، د ط.

17- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، ت: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 1987م.

18- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، ت: محمد باسل عيون السود، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1998م، ج1.

19- أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقديّ، مختصر سيرة النبي صلّى الله عليه وسلم- وسيرة أصحابه العشرة، تح: خالد بن عبد الرحمن بن حمد الثايغ، دار بلنسية، المملكة العربية السعودية- الرياض، ط2، 2001م.

20- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، دط، 2002.

21- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت- لبنان، مج5، ط1، 1863م.

22- حنفاوي بعلي، التداولية البراغماتية الجديدة، خطاب ما بعد الحداثة، مجلة اللغة والأدب- ملتقى علم النص، العدد17، جامعة الجزائر، جانفي 2006م.

23- محمد الأخضر الصبيحي، المناهج اللغوية الحديثة وأثرها في تدريس النصوص بمرحلة التعليم الثانوي، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه دولة، إشراف يمينة بن مالك، جامعة قسنطينة، 2004-2005.

المصادر باللغة الأجنبية:

1- Martine Bracops, Introduction à la pragmatique, Bruxelles, De Boeck, 2006.

فهرس
الموضوعات

فهرس الموضوعات

بسملة

شكر وعرفان

مقدمة: ..... أ

الفصل الأول: التداولية والمدح

المبحث الأول: التداولية 11

المطلب الأوّل: مفهوم التداولية 11

1-التعريف اللغوي للتداولية: 11

2- المفهوم الاصطلاحي للتداولية: 12

2-1- التداولية اصطلاحا عند العرب: ..... **Erreur ! Signet non défini.**

2-2- التداولية اصطلاحاً عند الغربيين: 12

المطلب الثاني: المقاربات التداولية 18

1- أفعال الكلام Les actes de language: 18

2- الإشاريات: 19

3- الإفتراض المسبق: 19

4- الأقوال المضمرة "Les sons-entendus ": 20

المبحث الثاني: المدح 22

المطلب الأول: المدح تعريفه وأنواعه 22

1- شعر المدح: 22

2- المدح والحمد: 22
3- الفرق بين المدح والحمد: 22
4- نشأة المدح وتطوره:..... 22
5-أنواع شعر المدح:..... 23
6- أغراض الشعر العربي: 23
المطلب الثاني: التعريف بزين العابدين..... 25
1- زين العابدين: 25
2- مكانة زين العابدين: 29
3- حكمه وأقواله: 30

الفصل الثاني: تداولية المدح في ميمية الفرزدق

المبحث الأوّل: المدح بالصفات الذاتية للممدوح 40
المبحث الثاني: المدح بالنسب 50
خاتمة:..... 57
قائمة المصادر والمراجع: 59
فهرس الموضوعات..... 63
ملخص

ملخص

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى معرفة تداولية المدح التي تضمنتها قصيدة ميمية الفرزدق، وكذا معرفة شخصية زين العابدين، ولقد استخدمنا في هذه الدراسة المنهج التداولي الذي كشف لنا عن تداولية المدح في القصيدة من خلال المدح بالصفات الذاتية لزين العابدين وصفات النسب.

الكلمات المفتاحية: التداولية، ميمية الفرزدق، المدح، زين العابدين.

Résumé:

Cette recherche vise à connaître le pragmatisme de louange contenu dans le poème de Mimiya Al-Farazdaq, ainsi qu'à connaître la personnalité de Zain Al-Abidin, nous avons utilisé dans cette étude l’ap.proche pragmatique qui nous a permis de découvrir la pragmatique de l’éloge dans le poème en vantant les qualités personnelles et familiales de Zain Al-Abidin.

Mots clés : la pragmatique, Mimiya Al-farazdaq, l’éloge, Zain Al-Abidin.